لحن ودم

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٨٧٧٩

I.S.B.N: 978-977-6642-87-4

تصميم الغلاف: أمير عاشور.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: نهال جمال.

المديـــر العـــام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

لحن ودم

رواية

أحمد الشامي

جميعنا مذنبون، لكن هناك فرق بين حياة تملؤها الذنوب وحياة يوجد بها ذنب.

متى ندرك ما نفعل؟

ندرك ما نفعل حين تنطفئ داخلنا شموع الرغبة والفضول وتنطفئ روحنا هي الأخرى حين يفارق من أحببناه عالمنا.

أخطأت مرة في كتابة اسمي بالإنجليزية وعاقبني معلمي بالضرب، ماذا لو كان علمني بطريقة أخرى كيف أكتبها؟

ماذا لو كان العالم استمر كما كنا نراه ونحن في سن العامين؟

أنا نجوى، الحلم والكابوس والسر..

أنا نجى، الأنثى والمريضة والجانية والمظلومة.

كيف تعاطف معي العالم وأنا لم أغفر ذنبي لنفسي؟! رأيت القبح فبكيت لأنني تذكرت أن القبح أصله جميل كما كنتِ جميلة يا نجوى..

أتذكرك حين بكيتِ على ضياع خاتمك البسيط، وأتذكرك أيضًا حين بكيتِ على ضياع عمرك الكبير.

اليوم هو البداية وفرصتي الأخيرة في العيش بدون خطر، وأتذكر القصاص دومًا، سأنتقم منهم اليوم لا من نفسي كما اعتدت أن أفعل.

تجلس نجوى الطفلة ف سن ٨ سنوات وخلفها زوجة أبيها تقص لها شعرها،

والغرفة معتمة تمامًا، مصدر الإضاءة الوحيد لمبة محروقة تضيء وتنطفئ، وفي الخلفية أغنية (كان عنا طاحون ع نبع المي)، ثم يُطفأ النور ويُضاء فتكون نجوى في سن الـ ١٦ عامًا وزوجة أبيها تقص لها شعرها، ثم يُطفأ النور ويُضاء

فتكون نجوى في سن الثلاثين عامًا وأمامها طفلة تقص لها شعرها ويبدو على وجهها نظرات وابتسامات شر، ثم يصدر صوت صراخ من الطفلة..

يبدو أن نجوى انتقمت من أحدهم في تلك الطفلة، فمن هي هذه الطفلة؟ وما هي الخيالات التي تراها؟ وبأي حق قتلت هذه الطفلة؟

نجوى: (بيضاء ـ متوسطة الطول ـ عيناها واسعتان ـ جسمها مضبوط).

(دايمًا ساكتة ومزاجية جدًّا ودايمًا متوترة).

زوجة أبيها: (طويلة ـ وجسمها حلو جدًّا ـ بيضاء ـ ملامحها مصرية أوي).

(قادرة وفي الدلع والمياصة ما فيش زيها، بس حرباية).

تخرج سيدة من منزلها ويبدو أنها تبحث عن أحد وتنظر إلى (بير السلم) وتنادي البواب وهي متوترة وتقول: (السيدة)

ـ مرزوق، يا مرزوق.

يأتي مرزوق مسرعًا وينظر إلى أعلى ويقول:

(البواب)

ـ آيوة آيوة يا ست هانم، خير؟

(السيدة)

ـ ما لمحتش يارا هنا ولا هنا ولا قدام العمارة؟!

(البواب)

ـ لا والله ما شوفتهاش خالص يا هانم.

تضع يدها على رأسها ويبدو عليها الخوف وتقول:

(السيدة)

ـ يا حبيبتي يا يارا، روحتي فين بس؟!

في نفس التوقيت في غرفة نوم نجوى، صوت رعد الشتاء مخيف وكأنه غضب الله عليها، ماذا حدث وماذا نحن فاعلون؟

نجوى نائمة ونور الغرفة معتم ومحتضنة دمية وتملس على شعرها وحولها دمى كثيرة، وفي الخلفية أغنية

"كان عنا طاحون ع نبع المي".

ثم تبستم وتدمع في نفس الوقت، ثم تنظر إلى الدمى وتغني مع الأغنية، وتتذكر يومًا لا تنساه طوال حياتها.

(Flash back)

تقف نجوى في سن الـ ٨ سنوات تنظر إلى أبيها وزوجة أبيها أثناء الجماع من (خرم) الباب، ثم يأتي أخوها وينقر على كتفها ثم يشاهد ما كانت تشاهده ويمسك يدها ويضع إصبعه على

فمه ويقول: هششششش!

في صباح اليوم التالي كان كل شيء على ما يرام، الأشياء لطيفة وتقف نجوى تحضر نسكافية مرتدية ملابس فورمال، ثم تنتهي من التحضير وتجلس على البار وتبدأ شرب النسكافية، يرن جرس الباب، تذهب لتفتح فتجد ضابطًا.

(الضابط)

- صباح الخير.

(نجوى)

- صباح النور، خير؟

(الضابط)

- لا، هو خير إن شاء الله، كنا بس محتاجينك في كلمتين كدا.

(نجوى)

ـ اتفضل.

(الضابط)

ـ في طفلة امبارح اختفت أثناء لعبها على السلم في الشقة اللي جمبك، ما تعرفيش راحت فين؟!

(نجوى)

ـ لاء ما شوفتهاش؛ لإن أصلًا ما ليش اختلاط بحد هنا.

(الضابط)

ـ اه تمام، شكرًا ليكِ، عن إذنك.

في نهار شتوي جميل والشمس غائمة، كانت تسير نجوى بسيارتها في إحدى شوارع القاهرة وتسمع أغنيتها المفضلة لفيروز، لا أعرف ما علاقة فيروز بالشتاء، أظن أنها لحن الحياة لا فصلًا واحدًا من السنة، تقف نجوى في إحدى إشارات المرور وترى طفلين يتعاطون كولا، يبدو عليهما الانسجام، تتذكر شيئًا من الماضي.

(Flash back)

تقف نجوى الطفلة في سن الـ ٨ سنوات مع خالد أخيها من أبيها الذي يبلغ من العمر ٧ سنوات، مرتدية فستانًا وهو مرتدٍ بيجامة ويقفان في المطبخ.

(خالد)

ـ أنا مش هقول لماما إنك كنتِ بتبصي عليهم من خرم الباب، مش هقول لحد خالص.

(نجوى)

ـ وأنا كمان مش هقول لبابا إنك كنت بتبص عليهم.

(خالد)

ـ اتفقنا، إيه رأيك لو نعمل زيهم؟

(نجوى)

ـ ازاي؟!

(خالد)

ـ أنا هقلع بنطلوني وأنتِ تقلعي فستانك.

تنظر إليه باستغراب وتقول:

(نجوى)

ـ بس هو دا مش غلط؟

(خالد)

ـ لا، مادام بابا وماما بيعملوا كدا يبقى مش غلط، تعالي يلا.

ويخلع البنطال وهي تخلع الفستان وينزلان على الأرض معًا، ثم تظهر أقدام أحدهم وإذا هي

زوجة الأب تقول:

ـ يا فاجرة يا بنت الفاجرة، يا فاجرة يا بنت الفاجرة.

تفتح إشارة المرور ونجوى شاردة، تنتبه من صوت منبه السيارات وتكمل سيرها في طريقها إلى الكافيه لتلتقي بإحدى أصدقائها،

تجلس نجوى بجوار الشباك في الكافيه تشرب قهوة والجو ممطر، وفي الطاولة المجاورة شخص كثيف الشعر يشرب قهوة وسجائر، ثم تدخل على نجوى هالة صديقتها تجلس أمامها وتقول:

(هالة)

- مختفية ليه؟ بقالك يومين قافلة موبايلك وما حدش يعرف عنك حاجة.

(نجوى)

- كنت في نوبة الاكتئاب كالعادة، كان لازم اقفل على نفسي.

(هالة)

- مش ناوية تسمعي الكلام وتروحي للدكتور؟

(نجوى)

- أنا ما فيش دكتور عرف يشخص حالتي، فبيعطوني علاج لأمراض مش فيا.

(هالة)

- مروان عزت قالب عليكِ الدنيا، بيقول إنك مأخرة ديزاينات بقالك ٣ شهور.

(نجوى)

ـ خدي.

تعطي لها ملف، تفتحه وتشاهد التصميمات وتقول:

(هالة)

ـ إيه الحلاوة دي؟ ولما أنتِ مخلصاهم مأخراهم ليه؟

(نجوى)

ـ لازم كدا، عشان يحسوا إنك اشتغلتي كتير عليهم.

(هالة)

ـ اه صياعة صايعة يعني.

تشاهد التصميمات مرة أخرى هالة وتقول:

(هالة)

ـ العروسة دي شكلها غريب أوي، أنا حاسة إنها بتتكلم وإن فيها روح.

تنظر إليها بثقة وتبتسم.

(نجوى)

ـ دا سر المهنة.

(هالة)

ـ طب هروح أنا اسلمه التصميمات وهكلمك.

تذهب هالة ثم يتقدم الشاب ياسين الذي كان بجوارها ويقعد أمامها ويمسك سيجارة ويقول:

(ياسين)

ـ سيجارة؟

تأخد منه السيجارة ويشعلها لها ويقول:

(ياسين)

ـ حسيت إنك محتاجة تتكلمي قُلت آجي أعرض عليكِ الاستماع.

(نجوى)

ـ قديم أوي الجو دا.

(ياسين)

ـ جسمك حلو، بس عينك أحلى، طالع من وسطك مزيكا ومن شفايفك غنى.

(نجوى)

ـ لذيذ!

(ياسين)

ـ أوي، تيجي جوينت؟

تنظر إليه باستغراب وهو يبتسم لها.

يجلس ياسين ورضوى في السيارة ويتعاطيان الحشيش، ثم يبتسم وينظر إلى نجوى ويقول:

(ياسين)

ـ أنا نجحت.

(نجوى)

ـ في إيه؟

(ياسين)

ـ فيكِ، راهنت نفسي إننا هنشرب جوينت مع بعض.

تنظر إليه مبتسمة.

(ياسين)

ـ ما تستغربيش، أنا ما كنتش عايز أنام معاكِ، جمال عينك غلب جمال جسمك.

(نجوى)

ـ بتشتغل إيه؟

(ياسين)

ـ مخرج إعلانات، وأنتِ؟!

(نجوى)

ـ ديزاينر لعب أطفال.

(ياسين)

ـ غريبة! أنا شايف في عينك طفلة لسه ما كبرتش.

تتذكر نجوى شيئًا من الماضي حين كانت..

تجلس نجوى على الأرض وملابسها ممزقة ومليئة بالجروح، وتدخل عليها زوجة أبيها وتنظر إليها.

(زوجة الأب)

ـ المرة دي حرقتلك جسمك، المرة الجاية هقطعلك صوابعك يا وسخة، بتفتحي عين الواد على اللي شوفتي أمك بتاعة الرجالة بتعمله؟ لو قربتي من خالد تاني هدبحك يا نجوى ها؟ هدبحك.

يناديها الأب بصوت عالٍ ويقول: يا سعاد، يا سعاد.

(زوجة الأب)

ـ حاضر يا رشدي جيالك.

تنظر إليها زوجة الأب نظرات شر ثم تذهب، وتجلس نجوى ترتعد وتبكي، يدخل إليها خالد حزين ويجلس بجوارها.

(خالد)

ـ موجوعة؟ أنا آسف يا نجوى، أنا بكره ماما عشان عورتك، وقُلت لربنا إنك مظلومة، أنا بحبك يا نجوى، ولما هكبر هتجوزك وهاخدك من البيت دا ونعيش لوحدنا.

يقترب منها ويحتضنها فتبكي بقوة.

الكراسي نائمة وياسين ونجوى نائمان يدخنان سجائر الحشيش.

(ياسين)

ـ كان نفسي اتجوز وأخلف بنت بس طلعت ما بخلفش.

(نجوى)

ـ كان نفسي اتجوز واطلع ما بخلفش، بس طلعت طبيعية وممكن أخلف.

(ياسين)

ـ تفتكري الواحد لو خد اللي نفسه فيه هيكون سعيد؟

(نجوى)

ـ مش عارفة، بس على الأقل مش هيحس إنه ناقص.

(ياسين)

ـ جربت أصلي قبل كدا وأقرب من ربنا، حسيت براحة، بس بعد كدا مليت.

(نجوى)

ـ أنا ما حدش علمني أصلي، هما بس علموني إن البوسة ما بتجيبش عيال، وإن الست أداة متعة للراجل، وإني هكسب احترام الجميع لو بس جسمي حلو وبعرف أحرك الذكر اللي جوا الراجل.

(ياسين)

ـ وعلى كدا كسبتِ احترام كام راجل لحد الوقت دا؟!

(نجوى)

ـ كتير، بس احترام مؤقت لحد ما يجمعنا الليل على سريره، وبعد كدا ببقى مملة وغير مرغوب فيا.

(ياسين)

ـ واتعلمتِ حاجة؟!

(نجوى)

ـ اه، إني آخد من الراجل اللي أنا عاوزاه قبل السرير، بعد السرير الراجل ما بيحققش للست حاجة.

صمت لثوانٍ.

(نجوى)

ـ أنت طيب أوي يا ياسين ودا مش كويس علشانك.

ثم تفتح نجوى شنطتها وتخرج سكين، ثم تقترب منه وتقبل شفتيه، ثم تغرس السكين في بطنه وتقبل رأسه وهو يلتقط آخر أنفاسه.

هذا هو عالمنا، يرتدي كل منا وجهين، وجه يقابل به العالم ووجه يقابل به نفسه.

في هذه الليله الشتوية كانت تسير نجوى بسيارتها وتتحدث مع نفسها وتقول:

من زمان كان نفسي افضفض مع حد وبعدين أقتله، ياسين كان طيب، فكان طبيعي يموت، الحياة دي اتخلقت للأشرار، للمجرمين أصحاب

النوايا الخبيثة، أنا حكيت لياسين على مأساتي في خيالي ونمت معاه، أنا دايمًا كدا ما بقبلش أشوف حد طيب ف الزمن دا، جايز لأنهم بيحسسوني

بقذارتي، ويمكن بيحسسوني بإني كان قدامي مليون صح واخترت الغلط.

تنظر إلى الكرسي بجوارها، عليه برطمان ممتليء بالدماء، ثم تكمل

سيرها..

تذكرت نجوى شيئًا من الماضي، يومًا لا تستطيع أن تنساه؛ لأنه ساعدها كثيرًا لوصولها إلى هذا الشخص الذي هي عليه الآن.

(Flash back)

تخرج نجوى من المطبخ وتسير بخطوات بطيئة وتفتح باب غرفة خالد ويكون نائمًا فتنظر إليه وتحتضنه، يستيقظ وينظر إليها باستغراب.

(خالد)

ـ نجوى! إيه اللي جابك هنا؟ ماما لو شافتك هتقلب الدنيا.

(نجوى)

ـ خالد، أنا بحبك.

(خالد)

ـ وأنا أوي.

تقترب منه وتنظر إليه، فيجد سكين في يدها!

(خالد)

ـ إيه اللي في إيدك دا يا نجوى؟

(نجوى)

ـ أنا جاية اقتلك يا خالد.

خالد يخاف ويرجع إلى الوراء وهي تقترب منه.

(خالد)

ـ بلاش يا نجوى بلاش.

تقترب منه وتغرس السكين في بطنه ويلتقط آخر أنفاسه.

تحتضنه بقوة وتبكي.

ذهبت نجوى إلى منزلها، كانت تجلس تصنع دمية لكن على هيئة ذكر، وفي الخلفية أغنية (كان عنا طاحون ع نبع المي)، ثم تسكب دماء ياسين داخل الدميه وتقفلها بالخيط وتضعها أمامها بجوار بعض العرائس وتشعل سيجارة، وما زالت الأغنية مستمرة، ثم يخرج إليها خالد ويجلس أمامها وينظر إليها.

(نجوى)

ـ أنا كمان بحبك يا خالد، ما قدرتش أسيبك تتألم كل ما تشوفني، على فكرة احنا ما ينفعش نتجوز لأننا إخوات.

تصمت نجوى وتأخذ نفسًا من السيجارة وتنظر إليه وتبتسم.

(نجوى)

ـ الجنة حلوة؟!

يصمت خالد وينظر إليها بدون تعبير، تطفئ السيجارة وتمسك يده.

(نجوى)

ـ أنت وحشتني أوي يا خالد، ووحشني لعبنا سوا، على فكرة أنا رميتلك سنتك المكسورة في الشمس، طلع مكانها ولا لأ؟ خالد أنت سامعني؟

تترك يده وتعقد يديها وتنام على الطاولة وتدمع.

(نجوى)

ـ يمكن لو كنت كبرت كنت هتطلع زيي، وكنت هتموت كل دقيقة.

تبتسم وترفع رأسها مجددًا، تنظر فتجد خالدًا قد اختفى، وترد الدمية:

(الدمية)

ـ خلي بالك يا نجوى، بابا في النار وبيقول إنه بيتعذب أوي، خلي بالك من النار يا نجوى.

ومثل كل صباح تستيقظ نجوى لتواجه العالم بوجهها الآخر.

تقفل نجوى باب شقتها، وتجد بنتًا تلعب على السلم وسيدة تخرج من شقتها غاضبة تقول للبنت:

(السيدة)

- أنتِ ما بتسمعيش الكلام ليه يا يارا؟ مش قلتلك ما تتحركيش من الشقة؟ اتفضلي قدامي.

تدخل يارا غاضبة للشقة ثم تنظر السيدة إلى نجوى.

(السيدة)

- إحم، معلش أصل امبارح جننتني وراحت مع بنت جارتنا اللي في العمارة اللي جمبنا وقلت اتخطفت، الواحدة بقى قلبها رهيف من كتر اللي بتسمعه اليومين دول، عن إذنك.

تدخل السيدة إلى منزلها وتنظر إليها نجوى باستغراب.

دومًا تعيش المرأة لحظات لا تفهم فيها نفسها، تتملكها أحيانًا هواجس، يُقال بأن المرأة أكثر عرضة للاكتئاب، وهذا يعني أنها أشد ضعفًا.

القوة أحيانًا تتمثل في شخص يعرف ما يريده، يحدد أهدافه ويوقعها في حبه، نرى الحياة جميلة من وجهة نظرنا، ولكن أي جمال نجده في أنفس شابت من قبح ما بداخلها؟

يمر يومها هادئًا بدون أي أحداث، وفي المساء تذهب إلى إحدى الملاهي الليلة لتلتقي بإحدى أصدقائها.

تدخل نجوى ويكون صوت المزيكا مرتفعًا وأشخاص شكلها غريب ترقص على موسيقا الجاز وعلى أجسامهم الوشم، ومرسوم على الحائط رسمات لحيوانات مخيفة ونجمة داود، تجلس نجوى على البار وتطلب مشروبًا وتنظر إلى الجميع، ثم يأتي (مانو) ويجلس أمامها.

مانو: (متوسط الطول ـ شعره طويل ويربطه بتوكة ـ قمحي اللون).

(طيب بس الشيطان سايقه، فاهم كل حاجة بس ما بيتكلمش إلا في الوقت المناسب).

(مانو)

ـ التقل صنعة برضه، بس على مين؟ أديكِ جيتِ برجليكِ.

(نجوى)

ـ من لقى أحبابه بقى، بس سيبك، إيه الجو دا؟

(مانو)

ـ ماله، حلو ولا وحش يعني؟

(نجوى)

ـ لذيذ، بس أنا شايفة اللعبة كبرت.

(مانو)

ـ إيه هنحسد ولا إيه.

(نجوى)

ـ لا بس كده خطر، ممكن تروح أبو زعبل في ثانية.

(مانو)

ـ لا ما تقلقيش، عندك هنا ولاد وزراء ورجال أعمال وسياسيين، فالضهر متأمن.

(نجوى)

ـ متأمن إيه بس؟ دا لو حد من أهالي العيال دي شم خبر مش هيرحموك.

(مانو)

ـ لا ما هما قدموا القربان خلاص وسجدوله، واتصوروا.

(نجوى)

ـ صايع، وأنت بقى سجدتله؟!

(مانو)

ـ نوجا، أنتِ نسيتِ إن أنا وإبليس زي بعض.

(نجوى)

ـ ازاي؟

(مانو)

ـ أنا وهو بنركب بني آدمين.

(نجوى)

ـ خد وهات، خمس تلاف جنيه

تعطيه التصميمات ويراهم فيبتسم ويعطي لها المال فتأخذه منه، فيعطيها تذكرة هروين.

(مانو)

ـ أحلى نوجا وأحلى اصطباحة.

(نجوى)

ـ أحبك وأنت فاهمني.

تأخذ الحاجيات وتقف لتمشي فيناديها.

(مانو)

ـ إيه مش هشوفك تاني؟!

(نجوى)

ـ في النار، هنتقابل هناك كلنا.

وتذهب وهو يبتسم وينظر إلى الصالة.

أشياء ستسلبك صوابك وتظن أنت أنها تبعدك عن الحقيقة والواقع، دومًا نجوى كانت تهرب من واقعها بتعاطي المخدرات، وعندما ذهبت من الملهى وقفت في أحد الشوارع بسيارتها.

وقتها قد شعرت نجوى بانهزامها، نوع من شياطين الإنس، شيطان يعشق ويتلذذ بالأذى وشيطان له ضمير، صفة الضمير قادرة أن تستعيدك مجددًا ولكن تريد منك الإرادة.

تتعاطى المخدرات في ليلة شديدة وكانت في مواجهة المسجد والمصلون ذاهبون للصلاة، ثم تخرج وتقف مستندة إلى السيارة، ثم يأتي خالد (الطفل) مرتديًا عباءة بيضاء ويقف أمامها.

(خالد)

ـ ربنا زعلان منك يا نجوى، وبيقول إنك مش هتجيلي، أنتِ بتعملي إيه غلط؟!

تنزل نجوى إلى مستواه وتبكي وتمسك بكتفيه.

(نجوى)

ـ أنا مش بعمل حاجة يا خالد، أنا ضايعة ومش حاسة بنفسي.

(خالد)

ـ مش مهم، ربنا غفور وهيقبل توبتك، ما تتأخريش يا نجوى.

يلتفت ويذهب ثم يقف وينظر إليها.

(خالد)

ـ بابا في النار يا نجوى وبيقول إنها بتوجع أوي.

ثم يختفي خالد، تنظر إلى يمينها وإلى يسارها ثم تجلس على الأرض وتستند إلى السيارة وتغمض عينيها.

(Flash back)

تخرج نجوى (الطفلة) في عمر الـ ٨ سنوات من غرفة خالد وفي يدها سكين ملطخ بالدماء، تدخل غرفة أبيها فتجد أباها فقط في الغرفة نائمًا، تنظر إليه وهي تبكي ثم تغرس السكين في بطنه وتخرج مسرعة، ويقع من يدها السكين وتقابلها زوجة أبيها فتنظر

إليها بصدمة وتمسك السكين.

(سعاد)

ـ قتلتيه يا فاجرة؟!! وتصيبها حالة إغماء فتقع على الأرض.

في عالمنا دومًا نجد أنفسنا مجرمين ومدعين وأصحاب نوايا سيئة، لماذا نستخدم دومًا عبارة (من شب على شيء شاب عليه) في مواقف معينة؟ ومن جعلنا نشب على الشيء ذاته؟ فهل يوجد منا من خُلِق مجرمًا ويوجد آخر خلق قاضيًا؟

لو كانت بالاختيار، فأي خيار يكون لدى الطفل والقانون ذاته لا يعاقب الطفل؟ هل من الممكن أن تُغفَر جميع الأخطاء الناتج عنها الأذى؟

أرى أن العقاب دومًا يكون لأشخاص أخرى، ليس للطفل على أي حال.

نجوى في نظر نفسها مجرمة وفي نظر المجتمع قد تعاني اضطرابًا نفسيًّا حادًّا، وفي نظر القانون قاتلة، ولكن في النهاية يوجد عدل السماء سيقول كلمته في أي وقت.

فتحت نجوى عينيها بعد هذه الليلة على سرير في أحد المستشفيات، وكان الدكتور هيثم واقفًا بجوارها وينظر إليها.

هيثم: (طويل ـ قمحي ـ شعره طبيعي ـ عريض).

(الهزار عنده غالب دايمًا بس وقت الجد جد).

(هيثم)

ـ ينفع كدا تخضينا عليكِ؟

(نجوى)

ـ أنا فين؟

(هيثم)

ـ في المستشفى، اغمى عليكِ بالليل في الشارع، جرعة المخدرات كانت زايدة.

(نجوى)

ـ أنا مش حاسة برجلي، حاسة إني مشلولة.

(هيثم)

ـ أنتِ جالك صدمة عصبية وحالة تشنج يفي الشارع امبارح والناس ما عرفتش تتعامل مع حالتك صح، وعقبال ما الإسعاف وصل كانت رجلك أصيبت بشلل مؤقت، بس ما تقلقيش بالوقت رجلك هتبقى أحسن.

(نجوى)

ـ أنت مين؟!

(هيثم)

ـ أنا هيثم، دكتور الأمراض النفسية والعصبية المسؤول عن حالتك، أنتِ لازم يتم متابعتك من قبل الطب النفسي عشان على الأقل ترجعي تمشي تاني.

اللي حصل لنجوى ما كانش في الحسبان، ياترى دي نهايتها ولا بدايتها؟

تصيبنا دومًا تلك الوعكات الصحية لنهدأ ونقف عن طريق لو كنا سرنا به لكنا سنصل إلى الهلاك، قد أُصيبت نجوى بالشلل المؤقت لتعيد التفكير، ولكن هل المريض النفسي يكون مخيرًا؟ لا أعرف، ولكن القانون ذاته يلتمس له العذر، فلو كان مخيرًا فأي عذر نلتمسه نحن والقانون له؟!

وفي ثاني يوم تجلس نجوى على الكرسي المتحرك أمام البلكونة والجو مشمس،

يأتي الدكتور ويضع أمامها فنجان قهوة ويجلس خلفها على السرير وبيده أوراق وأمامه فنجان قهوة.

(هيثم)

ـ دوقي بقى القهوة دي وقوليلي رأيك. لا خدي بالك أنا أحسن واحد يشهق على القهوة.

تبتسم نجوى.

(هيثم)

ـ ها بقى احكيلي، خانك ولا سابك من غير سبب؟

تصمت نجوى ولا تزال تنظر إلى البلكونة.

(هيثم)

ـ اه صاحبتك شقطته منك وهي بتصالحكم على بعض.

تصمت نجوى ثم يقوم الدكتور ويسحب كرسيًّا ويقعد بجانبها.

(هيثم)

ـ وبعدين معاكي بقى؟ ما هو لازم تساعديني، مشكلتك نفسية مش عضوية يا نجوى.

(نجوى)

ـ أنا ساكتة لأن كل توقعاتك غلط، أنا مش مخذولة، أنا مجرمة.

(هيثم)

ـ كملي.

(نجوى)

ـ أنا قتلت أخويا وأبويا، قتلتهم عشان قتلوني مية مرة، عيشت طفولة قاسية وغريبة، وفتحت عيني على أمي وهي بتضِّرب من أبويا وبيقولها:

(flash back)

يضرب الأب الأم ونجوى تقف في الزاوية تدمع وخائفة.

الأب: (قصير ـ تخين ـ أصلع ـ قمحي ـ يرتدي سلاسل وخواتم دهب).

(نسوانجي ولسانه متبري منه).

الأم: (متوسطة الطول ـ رفيعة ـ بيضاء).

(غلبانة وصعبان عليها نفسها دايمًا).

(الأب)

- أنتِ هتعيشي هنا زي الكلاب، وحسك عينك تجيلي البيت التاني، والله عال، فاكرة نفسك ست ولا إيه؟

(الأم)

- اللي فاكرة نفسها ست دي هي اللي عملتك راجل وجازيتها إيه؟ سيبتها مرمية في المستشفى بتولد وروحت اتجوزت واحدة من الشارع.

(الأب)

- والله ما حد من الشارع غيرك، وبعدين المصنع اللي عملتيني بيه راجل دا من حقي، أنا اللي كبرته وعملتله اسم وكان أبوكِ بيرميلي ملاليم، ربنا يجحمه.

(الأم)

- بتدعي على الراجل اللي فتحلك بيته وجوزك بنته! أما قليل الأصل بصحيح، اتفوه عليك راجل وسخ.

(الأب)

- اسمعي يا تربية وسخه أنتِ، أنا حر وهتجوز عليكي مرة واتنين وعشرة وأنتِ ما لكيش عندي غير اللقمة، أنتِ فاهمة؟

(نجوى)

- أمي كانت غلبانة وأبويا ضحك عليها وخد منها مصنع العرايس بتاع أبوها، وشافت معاه الذل ويا ريته سابها في حالها، بس الأصعب لما جه اليوم اللي كانت فيه تعبانة وطلبت من عم سعيد البقال يجبلها دوا من الصيدلية.

(Flash back)

أم نجوى نائمه تعبانة وبجوارها عم سعيد، ونجوى ف المطبخ بتجيب مياه.

- (سعيد)
- يا أم نجوى حرام عليكِ لازم تروحي المستشفى.

(أم نجوى)

- مش مستاهلة يا أبو أحمد، أنا هبقى كويسة.
- (سعيد)
- طب قومي اتعدلي غفليلك ساعتين.

يحرك سعيد أم نجوى ويقترب منها، يدخل عليهم الأب وهو مذهول:

(الأب)

- اه يا فاجرة يا بنت الكلب.

(سعيد)

- حج رشدي أنت..

(الأب)

- أنا إيه؟ أنا لازم اغسل عاري.

يخرج مسرعًا ويدخل المطبخ يخبط نجوى ويوقع كوب المياه ويجيب سكين

ويقتلهم ثم يقلعهم هدومهم تمامًا، ونجوى تصرخ بصوت عالٍ وتقول: ماما.

(نجوى)

- وقتها أبويا طلب البوليس وجم خدوه، ومع أول جلسة أثبتوا براءته، وخصوصًا لما الدكتور بتاع الصيدلية قال في شهادته إنه عطى له مع الدواء منشط جنسي، أصل عم سعيد كان متجوز كتير والقاضي اعتبر دا إثبات لنية المجني عليه لارتكاب الجريمة، قفلنا شقتنا ومشينا من الحارة وفضيحة أمي بقت على كل لسان، ورحت عشت معاه عند مراته التانية، طول الطريق كنت بتخيل شكل أمي وهي بتموت ظلم صورتها ما فارقتش خيالي، وهناك قابلت حبيبي وأخويا وأحن حد قابلته ف حياتي، خالد.

(هيثم)

- ولما هو أحن حد قابلتيه، قتلتيه ليه؟!

(نجوى)

- عشان كان لازم يموت جسم وروح، لأن لو كان عاش وشاف اللي شفته كانت روحه ماتت وهو حي زيي. أنا كنت بحبه أوي، كانوا هما يشوهوا جسمي وهو يطبطب، عارف؟ خالد الوحيد اللي كان بيحضني وبحس في حضنه بالأمان، خالد كان لازم يموت يا دكتور عشان أنا اللي كنت هموت لو شفت اللي فيه فيا.

تدمع نجوى فيعطي لها الدكتور منديلًا.

(هيثم)

- كملي.

(نجوى)

- مشهد قتل أمي جرأني أوي على منظر الدم، بعد ما قتلت خالد كنت مغلولة ومنظر أمي وهي بتموت كان بيطاردني، وما شوفتش نفسي غير وأنا بقتل أبويا عشان أردله وجعها، لا ما صعبش عليا لا، دا كان لازم يموت مية مرة.

(هيثم)

- ممكن أسألك سؤال؟ أنتِ ازاي ما اتقبضش عليكِ؟

(نجوى)

ـ وأنا خارجة من أوضة أبويا قابلت مراته ومسكت إيدي والسكينة، وبصمتها هي اللي بقت على السكينة وأغمى عليها، ووقتها قومت محامي شاطر وجابلها خمستاشر سنة بعد ما أثبت إنها بتعاني إضطرابات نفسية.

(هيثم)

ـ طب أنتِ رحتي فين؟

(نجوى)

ـ رحت عند بيتنا القديم وفضلت قاعدة على السلم بعيط، وفجأة..

(flash back)

تجلس نجوى على السلم أمام الشقة وتبكي وترتعش فتخرج إليها عطيات فتجدها وتندهش وتقول:

(عطيات)

ـ كبدي عليكِ يا بنتي، هو رماكي في الشارع؟

تقترب منها وتوقفها.

(عطيات)

ـ ادخلي يا بنتي تعالي.

يدخلون معًا إلى شقة عطيات.

(نجوى)

- روحت قعدت عند عطيات وجوزها سلامة، اللي فتح المصنع من جديد ووقفه على رجليه، وأنا نزلت زيي زي أي عامل واتعلمت المهنة وشربتها. عم سلامة كتر خيره حافظ على مالي وبقينا بنكسب أكتر من الأول وفضلت الحياة كويسة لسبع سنين بالظبط، عم سلامة سافر يحج هو وعطيات مراته وماتوا، وفضلت حزينة ومكتئبة لحد ما حصلت حاجه غير متوقعة. ناس داخلوا عليا في يوم وخطفوني، وطلع إن سعاد خرجت في نص المدة حسن سير وسلوك، ما اعرفش ازاي بس دا اللي حصل، وطلع اللي خطفوني دول تبع سعاد، وودوني ليها.

(Flash back)

نجوى جالسة على الأرض وشعرها مقصوص

ووشها متعور وإيديها، وسعاد قاعدة على كرسي بالعكس قدامها والإضاة خافتة جدًّا.

(سعاد)

- كبرتي يا نوجا وقصتك معايا كبرت، سبع سنين في السجن كل يوم بحلم إن أخرج عشان أقتلك، لأ لأ، أعذبك لحد ما تموتي بالبطيء. أنتِ فاكرة إني زعلانة على أبوكِ؟ هه، دا أنتِ وفرتي عليا كتير، إنما

بقى دم خالد ما ينفعش يتساب، ولازم ادوقك كل حاجة عملتيها. بس قبل دا، فين العرايس الباندا اللي أبوكِ كان بيعملهم بنفسه؟!

(نجوى)

ـ ما اعرفش.

تقوم سعاد من على الكرسي وتمسك راسها وتخبطها.

(سعاد)

ـ أنتِ هتستعبطي يا روح أمك؟ فين العرايس؟

(نجوى)

ـ ما اعرفش ما اعرفش.

(سعاد)

ـ حلو، أنا بقى هخليكِ تعرفي.

تلتفت سعاد وتبص نجوى جمبها فتلاقي حديدة، تقوم جيباها وضرباها على راسها وتهرب.

(نجوى)

ـ خرجت من عندها جري على المخزن، وقعدت أدور على الباندا لحد ما لاقتهم.

(Flash back)

نجوى تخرج مسرعة وفي يدها اثنان "باندا" من المخزن، تجري مسرعة.

أتعلمين يا أمي أنني دومًا أشتاق إليكِ؟ أتذكرك حين يقسو العالم علي، أتذكر عناقك ورائحة الأشياء في وجودك.

لقد قابلت أناس كثيرين يدَّعون أنهم سيكونون أنتِ، ويفعلون مثلما كنتِ تفعلين، ولكن أشعر بعدها أنه مجرد تعاطف..

أعرف أن كثيرين يفقدون أمهاتهم، لكني أشعر أنني مختلفة، لقد فقدت أمي أمام عيني، رأيت دمائها شلالًا يسير أمام عيني.

لا أدري هل فقدت أمي أم فقدت روحي واختلط علي الأمر!

أتذكرك يا أمي، أنت من أحببتني فيروز وأغانيها، أتذكر حين كنتِ تغنين لي تلك الأغنية أثناء الاستحمام..

«كان عنا طاحون ع نبع المي، وجدي كان يطحن للحي، قمح وزهرية».

أتذكر صوتك حين كنتِ تغنينها، لا أتذكرها بصوت فيروز.

بعدك يا أمي تعرفت على الدنيا..

حين مر من عمري ستة عشر عامًا.

(Flash back)

تجلس نجوى في سن الـ ١٦ عامًا على إحدى أرصفة شوارع جامعة الدول، ثم تأتي إحدى السيارات الفخمة تقف أمامها وينزل منها شخص يدعى "جاسر" شخص أربعيني، يقترب منها ويقول:

(جاسر)

ـ مالك يا حبيبتي؟

تبكي وتقول:

(نجوى)

ـ أنا كويسة.

(جاسر)

ـ كويسة ازاي بس؟ أنتِ عندك كام سنة؟

(نجوى)

ـ ستاشر.

(جاسر)

ـ طب قومي أروحك.

(نجوى)

ـ أنا ما عنديش بيت.

(جاسر)

ـ إيه؟! طب قومي معايا قومي.

تقوم معه نجوى ويركبان السيارة ويذهبان.

(Flash back)

يدخل جاسر المنزل وتدخل وراءه نجوى، تدخل تتأمل المنزل فتجد رسومات غريبة على الحوائط، مثل حيوانات وآدميين برأس كلب، وتماثيل أشكالها مخيفة وخمور. تتخض نجوى وتقول:

(نجوى)

ـ هو إيه دا؟!

(جاسر)

ـ دي مملكتي، أو تقدري تقولي العالم الآخر.

(نجوى)

ـ أنا مش فاهمة حاجة.

(جاسر)

ـ أنا هفهمك، العالم دا منقسم لقسمين، القسم الأول هو الحياة اللي احنا عايشينها اللي بيسكنها الإنس البشر اللي بيعبدوا الله أو بيعبدوا المسيح أو بوزا أو حتى البقر والشمس، وفي عالم تاني عايش فيه كائنات خافية للبشر، مخلوقات قوية وبيعبدوا كائن واحد، بس مش زي البشر، بيعبدوا "لوسيفر".

تندهش نجوى وتفزع.

(جاسر)

ـ إيه مالك؟ اهدي هجيبلك مياه.

ثم يحرك إصبعه وتأتي زجاجة المياه من على بعد أمامهم، تندهش نجوى وتصرخ.

(نجوى)

ـ إيه دا؟ أنت إيه؟

(جاسر)

ـ اهدي ما تخافيش أنا جاسر.

(نجوى)

ـ اه بني آدم يعني ولا إيه بالظبط؟

يضحك جاسر ويقوم من جانبها ويصب كأس خمر.

(جاسر)

ـ تعرفي يا نجوى إنك حلوة؟!

(نجوى)

ـ ثانية واحدة، هو أنت عرفت اسمي منين؟!

يقترب منها جاسر مرة أخرى ويقول:

(جاسر)

ـ اسمك بس؟ طب قولي عرفت إنك قتلتِ أبوكِ وأخوكِ منين، أو قولي عرفت إنك أحسن واحدة تعمل عرايس وتصممهم منين.

(نجوى)

ـ مستحيل، أنت ازاي بتعرف كل دا؟

(جاسر)

ـ أنا اعرف كل حاجة عن أي حد، بس أنتِ اللي ما تعرفينيش.

(نجوى)

ـ بس أنا قتلت عشان..

(جاسر)

ـ عشان أبوكِ قتل أمك ظلم، بس قتلتي خالد عشان إيه؟

(نجوى)

ـ ما اعرفش!

(جاسر)

ـ أنا أقولك، عشان أنتِ حبيتِ الدم، تلذذتِ بطعم آلام الآخرين.

(نجوى)

ـ أنت عايز مني إيه؟

(جاسر)

ـ أنا ما بعوزش، هو اللي بيعوز.

ثم الإضاءة تقفل وتفتح بطريقة غريبة، ثم يختفي جاسر وتصرخ نجوى.

ماذا يحدث لتلك الفتاة؟ ظهور هذا الشخص قد يربكها، فهل وصل طغيانها أن يظهر لها شخص غير عادي كهذا ليساومها؟ أظن أن الأمر أصبح أشد تعقيدًا.

تدخل الممرضة على نجوى وتكون مستيقظة وجالسة على السرير، تضع لها الطعام وتقول:

(الممرضة)

ـ والله عال بقيتي أحسن اهوه، بإذن الله كلها كام يوم وتقومي بالسلامة.

يدخل الدكتور هيثم عليها في يده طعام ويقول:

(هيثم)

ـ لا دا صباح الخير أوي، روحي أنتِ يا هالة واقفلي الباب وراكِ.

يضع الطعام أمامها ويقول:

(هيثم)

ـ أنا قلت آجي أفطر معاكِ، واهو بالمرة تفتحي نفسي، على فكرة أنا أصلًا ضد إن الإنسان يفطر، نجوى مالك ساكتة ليه؟

(نجوى)

ـ أنت ازاي مش خايف مني بعد اللي حكيتهولك؟

(هيثم)

ـ واخاف ليه؟ أنتِ ضحية يا نجوى.

(نجوى)

ـ بعد كل اللي حكيتهولك دا وتقولي ضحية؟ أنا ما بنامش يا دكتور، خايفة اقابله.

وتبكي نجوى، يمسك يديها الدكتور وينظر لها ويقول:

(هيثم)

ـ كلنا عملنا في حياتنا غلطات خايفين نقابله عشانها، كلنا مش عارفين هنقوله عملنا كدا ليه، بس الأكيد إنه عارف إننا ندمنا على اللي عملناه، احنا أقل من إننا نقدر نستوعب رحمته، ما تخافيش.

(نجوى)

ـ أنت مش عارف حاجة، أنا كافرة، أنا في النار يا دكتور.

(هيثم)

ـ ليه بتقولي كدا؟

وينظر لها فتدمع.

(Flash back)

نجوى تستيقظ من النوم وهي مرمية على الأرض تفتح عينها فتجد مانو ينظر لها ويقول:

(مانو)

ـ صباح الخير.

(نجوى)

ـ أنت مين؟

(مانو)

ـ أنا مانو، في إيه مالك؟

(نجوى)

ـ مش عارفة أنا جيت هنا امبارح مع واحد كدا اسمه جاسر، وفجأة اختفى وأغمى عليا.

يضحك مانو بصوت عالٍ.

(نجوى)

ـ إيه أنت بتضحك على إيه؟ والله دا اللي حصل.

(مانو)

ـ مصدقك، بس جاسر دا مالوش وجود مش حقيقي.

(نجوى)

ـ أومال إيه؟

(مانو)

ـ مارد جن، بيتشكل في أي شكل هو عاوزه.

(نجوى)

ـ نعم؟؟

(مانو)

ـ بس غريبة! ازاي يظهرلك مخصوص ويجيبك هنا؟ أكيد عايز يوصلي حاجة.

(نجوى)

ـ مشيني من هنا، أنا خايفة.

(مانو)

ـ ما تخافيش، بس احكيلي إيه اللي دار بينكم.

(نجوى)

ـ قالي على حاجات يعرفها عني، كل حاجة تقريبًا، وحكالي بالتفصيل، وحكالي برضه عن شغلي.

(مانو)

ـ شغلك اللي هو إيه؟

(نجوى)

ـ أنا بعمل عرايس لعب أطفال وبصممهم وكدا.

(مانو)

ـ أنا كدا فهمت.

(نجوى)

ـ فهمت إيه؟!

(نجوى)

ـ وقتها حكالي طبيعتهم وإن الناس دي كفار وبيعبدوا الشيطان، وإن من طقوسهم إنهم بيعملوا تماثيل بدمهم بأشكال مختلفة وبيسجدولها كنوع من أنواع العبادات، وإن هما محتاجيني في تصميم التماثيل دي، لأن شرط إن يكون في بيت كل واحد منهم تمثال أو اتنين، وقالي إني لو ما عملتش كدا هتئذي، وأقنعني إن كدا كدا آخرتي معروفة.

(هيثم)

ـ أنا مش فاهم برضه إيه علاقة إنهم يعملوا تماثيل جواها دمهم!

(نجوى)

ـ هقولك، لما أنت بتعمل التمثال وجواه دمك وبيقروا عليه طلسم معين، التمثال دا بيسكنه قرينك اللي بيحققلك متع الدنيا، وتحضير القرين من أصعب الحاجات.

(هيثم)

ـ اه اه فهمت، يعني التماثيل دي بترد بعد كدا بتكون مسكونة.

(نجوى)

ـ بالظبط بترد وبتتكلم، وبتنقلك اللي بيحصل في العالم الآخر، مين في الجنة ومين في النار، وبتوصلك رسايل.

(هيثم)

ـ يا نهار أبيض! وبعدين إيه اللي حصل؟

(نجوى)

ـ فضلت شغالة معاهم لمدة طويلة، وكسبت فلوس كتير جدًا وبدأت اشتغل مع مصانع وشركات كبيرة

في تصنيع لعب الأطفال لحد ما كان تقريبًا عمري ٣٢ سنة.

(Flash back)

على جبل المقطم الجو شديد البرودة ونجوى تقف مستندة إلى السيارة في سن الـ ٣٢ عامًا، ويأتي مانو يركن سيارته وينزل منها ويقول:

(مانو)

ـ عاش من شافك يا نوجا.

(نجوى)

ـ هيعيش ما تقلقش.

(مانو)

ـ الجو عو أوي، المخبرين مرشقين حوالين النايل كلوب.

(نجوى)

ـ قلتلك خف من الحوار دا، وكفاية اللي لميته من وراه.

(مانو)

ـ ما ينفعش، أنا لو فكتني أموت، أتدبح.

(نجوى)

ـ من المارد؟

(مانو)

ـ لا، أنا اعرف احرقه ازاي.

(نجوى)

ـ اومال؟

(مانو)

ـ دي مافيا، الناس الطاليان ما بيرحموش، لو خسعت منهم يحرقوني.

(نجوى)

ـ وارطة.

(مانو)

ـ عارفة طول ما النشاط دا شغال في مصر وكل مدى يكبر، شباب مصر كلهم هتلاقيهم ماشيين براس كلب.

(نجوى)

ـ وهما عاوزين كدا.

(مانو)

ـ لعبة سياسية في الآخر.

(نجوى)

ـ مش خايف تموت يا مانو؟

(مانو)

ـ ما بقتش أفكر في الموت.

(نجوى)

ـ خد دول ٤١ تصميم جداد.

يأخذ منها التصميمات ويعطيها مبلغًا، تأخذهم منه فيقول:

(مانو)

ـ مش خايفة تموتي يا نجوى؟

(نجوى)

ـ أنا مت، مت قبل كدا كتير، سلام.

تذهب وتركب سيارتها ولا يزال مروان واقفًا ويقول:

(مانو)

ـ بسمع إنك هتتجوزي مروان عزت صاحب مصنع "فيونكة" بتاع لعب الأطفال.

(نجوى)

ـ للأسف.

تتحرك بالسيارة خطوة ومانو واقف ويقول:

(مانو)

ـ عشان الفلوس؟!

(نجوى)

ـ يمكن.

تسير نجوى بالسيارة ولا يزال مروان واقفًا مبتسمًا.

(Flash back)

تكون نجوى ومروان جالسين على السرير بعد الانتهاء من الجماع، ويقوم مروان متعصبًا ويشعل سيجارة ويقول:

(مروان)

- يووووه، أنتِ ما بتزهقيش من الحوار دا؟ قلتلك الست دي متجوزة مقاول كبير جدًّا وعلاقاته تسد عين الشمس، أنتِ عارفة كام بودي جارد على فيلتها؟ عارفة الست دي بتخرج بكام حارس؟ الموضوع أكبر مني.

(نجوى)

- ما كانش دا كلامك من الأول.

يقترب منها مرة أخرى ويمسك يدها ويقول:

(مروان)

- نجوى يا حبيبتي، صدقيني أنا لو عليا اعملك كل اللي أنتِ عاوزاه.

(نجوى)

- بس أنت عشمتني.

(مروان)

- صدقيني مش هبطل أحاول.

(نجوى)

- مروان طلقني.

(مروان)

- إيه؟

-قطع-

مشهد (٦٣) داخلي - نهار
مستشفى

يجلس الدكتور ونجوى نائمة على السرير:

(نجوى)

- وطلقني مروان، واكتأبت، حياتي كلها كانت عبارة عن شرب ومخدرات وسهر لحد ما فلوسي خلصت، وكان بيجيلي نوبة صرع دايمًا وكوابيس مفزعة، وفي مرة كنت قاعدة بشرب حصلي حاجة غريبة جدًّا.

(Flash back)

تجلس نجوى تشرب خمرًا وصوت صراخ أطفال يأتي من دورة المياه وهي مظلمة، تقترب نجوى منها وتفتح النور فتجد خالدًا جالسًا على المرحاض ووجهه ملطخًا بالدماء ويقول:

(خالد)

ـ نجوى أنتِ فين؟ فضلت أناديكِ كتير.

(نجوى)

ـ أنت إيه اللي جابك هنا؟

(خالد)

ـ أنا عايش معاكي، أنتِ نسيتِ ولا إيه؟

(نجوى)

ـ خالد أنت بجد؟ يعني أنت ما متش؟

(خالد)

ـ لا أنا لسه ما متش.

(نجوى)

ـ طب قوم معايا أغيرلك هدومك.

(خالد)

ـ حاضر.

تلتفت نجوى ثم تنظر مرة أخرى فتجد خالدًا اختفى ويسقط من المرحاض دم. تذهب بسرعة وتأتي بإناء وتأخذ هذا الدم.

(Flash back)

تجلس نجوى وأمامها الطاولة وتصنع دمية على شكل ذكر، ثم تسكب الدماء داخلها وتبدأ بقراءة الطلسم عليها، صمت لمدة ثوانٍ وترد الدمية وتقول: خلي بالك يا نجوى.

تفزع نجوى وترجع خطوتين إلى الوراء ثم يرن هاتفها وإذا به "مانو"، ترد متوترة وتقول:

(نجوى)

ـ آلو، أيوه يا مانو الحقني.

(مانو)

ـ اهدي، إيه اللي حصل؟

(نجوى)

ـ خالد أخويا كان موجود عندي دلوقتي.

(مانو)

ـ إيه؟

(نجوى)

ـ اه والله وكان متعور كدا، وفجأة اختفى وفضل دمه.

(مانو)

ـ وبعدين؟

(نجوى)

ـ خدت الدم وعملته عروسة وقريت عليها الطلسم.

(مانو)

ـ يا نهار أبيض، ليه كدا؟ ليه؟

(نجوى)

ـ مش عارفة، مش عارفة، أنا خايفة أوي.

(مانو)

ـ طب اهدي ما تخافيش.

(نجوى)

ـ اعمل إيه دلوقتي طيب قُلي.

(مانو)

ـ لا ما تعمليش حاجة خالص، دا "هفاف" الجن، بيخوفك عشان بطلتي تشتغلي معانا، كويس إنه خوفك بس وما طلبش حاجة تانية.

(نجوى)

ـ حاجه تانية زي إيه؟

(مانو)

ـ مش مهم دلوقتي، المهم تهدي خالص.

يأتي هاتف لهيثم فيرد.

(هيثم)

ـ آلو، طب أنا جاي حالًا سلام، معلش يا نجوى أنا لازم امشي، هجيلك بكره نكمل كلامنا، اتفقنا؟

(نجوى)

ـ اتفقنا.

يذهب الدكتور وتلتقط أنفاسها نجوى ثم تغمض عينيها وتنام.

يفكر هيثم في حديث نجوى بحرارة، غير قادر على فهم موقفها، الحكاية تبدو معقدة، فهل تكذب وتحاول أن تداري الحقيقة أم هل هذه هي الحقيقة؟

بعد أن جاء الهاتف إلى هيثم من والدته بأنه قد جاءه ضيوف، ذهب مسرعًا إلى البيت، وعندما دخل البيت وبالتحديد غرفة الصالون وجد سيدة يبدو عليها الثراء تدخن سيجارة.

(هيثم)

ـ مساء الخير.

تنظر له السيدة.

(هيثم)

ـ أهلًا بحضرتك، بس أنتِ مين؟

(سعاد)

ـ سعاد هاني تميم.

(هيثم)

ـ أهلًا، بس خير؟

تقوم لتقف وتنظر من شباك النافذة وتنظر له.

(سعاد)

ـ طبعًا أنت ما تعرفنيش، لكن أنا عارفاك كويس، وعارفة إنك دكتور شاطر جدًّا.

(هيثم)

ـ حضرتك مريضة ولا حد من طرفك؟

(سعاد)

ـ لا مش جيالك في شغل طب.

(هيثم)

ـ أومال؟

تجلس مجددًا على الكرسي وتضع رجلًا على رجل.

(سعاد)

ـ نجوى رشدي، تعرف حد بالاسم دا؟

(هيثم)

ـ اه دي مريضة عندي، بس إيه المناسبة؟

(سعاد)

ـ أنا طالبة منك طلب، لأ طلبين، لا لا تلاتة.

(هيثم)

ـ إيه هما؟

(سعاد)

ـ أنا ليا أمانة عند نجوى، وليا دم عند نجوى، وليا سر عندك.

(هيثم)

ـ مش فاهم!

(سعاد)

ـ أكيد نجوى حكتلك على الحكاية، وحكتلك عن الباندا.

(هيثم)

ـ أنا آسف يا مدام، دي أسرار مرضى، وأنا مستحيل هخرج الأسرار دي.

(سعاد)

ـ هه، تفتكر يا دكتور إن الاسرار دي هتعوضك ماديًّا قد إيه من المستشفى؟ بألف؟ ألفين جنيه؟ مش فلوس.

تقوم لتقف وتتمشى أمامه ثم تطفئ السيجارة وتنظر له.

(سعاد)

ـ لكن الأسرار دي أنا هعوضك عنها ببيت في التجمع، بعيادة في مدينة نصر، بعربية آخر موديل، بحساب في البنك بالدولار، أنت عارف إن الجنيه دلوقتي ما بيشتريش حاجة.

(هيثم)

ـ وتفتكري أنا ممكن أوافق؟

(سعاد)

ـ أنا متأكدة إنك هتوافق، على الأقل طليقتك تعرف إنها خسرتك، أنت ناسي إنها سابتك عشان مش قد

المقام؟ ولا ناسي إنك ما كنتش بتأكلها لحمة إلا مرة كل شهر؟ عندك فرصة تغير حياتك، أمك مثلًا تطلع تحج وتدعيلك، مش بدل ما هي صرفت عليك دم قلبها عشان في الآخر يكون السواق بتاعي بيكسب أكتر منك.

(هيثم)

ـ وأنتِ إيه السر اللي أنا ممكن اعرفه يخليكِ تدفعي المبالغ دي كلها؟!

(سعاد)

ـ مش قبل ما تعرف بقيت طلباتي؟ اللي قلتهولك دا الأمانة، لسه الدم والسر. الدم هو إنك هتخلص عليها بعد ما تجيب الأمانة، ودا مقابله إنك هيكون ليك برنامج أسبوعي على أكبر قنوات التلفزيون عن الطب النفسي، أما السر فهو إنك ما شوفتنيش ولا تعرفني.

(هيثم)

ـ بس أنا مستحيل اقتل، مستحيل.

(سعاد)

ـ خلينا في الأمانة الأول.

(هيثم)

ـ وإيه هي؟

(سعاد)

ـ الباندا اللي كان أبو نجوى بيعملها بنفسه، أنا عاوزاها.

(هيثم)

ـ تدفعي ملايين في حتة باندا بخمسين جنيه؟!

(سعاد)

ـ أنا هقولك ليه، بس عشان أنا واثقة فيك، وإن حاولت حتى تطمع في المصلحة هقتلك أنت والست الغلبانة اللي برا دي.

(هيثم)

ـ إيه؟

(سعاد)

ـ أيوه يا دكتور، ومع ذلك هديك الأمان.الباندا دي جواها فص يرجع تاريخه للأسرة الثانية الفرعونية، الفص دا في مادة، المادة دي بتشفي الأمراض الخبيثة زي (hiv ـ cansr)، تمن الجرام من المادة دي بيساوي ٢٠٠ مليون دولار، أبو نجوى واللي كان جوزي كان اتفق مع جوزي الحالي "سيد حمدان" المقاول المعروف إنه يخبي له الفصوص دي جوا العرايس بطريقة ذكية، كان عندي فص اديته لسيد وهو سبب الغنى اللي احنا فيه دا، ولسه فص تاني ما

لحقتش آخده منها، بس لازم ييجي، وبعد كدا لازم آخد تار خالد ابني اللي قتلته.

(هيثم)

ـ يا نهار أبيض، إيه دا؟

(سعاد)

ـ ما تفكرش يا دكتور، قدامك فرصة، وإذا كان على قتلها فأنا هبعت اللي يقتلها.

ينظر هيثم إلى سعاد باستغراب، وهي تبتسم..

كل منا جاءت أمامه فرص ليبيع مبادئه، فمنا من كانت فرصته لبيع مبادئه قليلة فيستغنى، ولكن يكون الأمر أكثر صعوبة لو كانت مبادئك بيعها تقابله ملايين.

وفي صباح اليوم التالي ذهب هيثم إلى المستشفى ودخل غرفة نجوى ووجد ضيفًا عندها.

(نجوى)

ـ تعالى يا دكتور، دا مانو اللي حكيتلك عنه.

يسلم الدكتور على مانو، ويبدو عليه عدم الارتياح.

(مانو)

ـ نوجا حكتلي عنك وقالتلي إنك شاطر، يعني مش هوصيك.

(هيثم)

ـ لا ما تقلقش في عنينا.

(مانو)

ـ نوجا، أنا دفعت حساب المستشفى وسيبتلك مبلغ لو احتاجتِ حاجة، هكلمك اطمن عليكِ، أنا مضطر امشي، باي، عن إذنك يا دكتور.يخرج مانو ويجلس الدكتور بجوار نجوى ويظهر على وجهه الاختلاف.

(نجوى)

ـ مالك يا هيثم؟

(هيثم)

ـ لا ما فيش.

(نجوى)

ـ لا فيه.

(هيثم)

ـ إيه هتلعبي النهاردا دور الدكتور؟

(نجوى)

ـ لو لزم الأمر أوكيه ما عنديش مانع.

(هيثم)

ـ أنا كويس ما تقلقيش.

(نجوى)

ـ تحب اكمل حكي؟!

(هيثم)

ـ اه، أوي أوي.

(نجوى)

ـ المهم بعد ما..

(هيثم)

ـ احم، نجوى هو أنتِ بعد ما خرجتي بالباندا من المخزن رحتي فين؟ قصدي وديتي الباندا فين؟!

تنظر له باستغراب.

(نجوى)

ـ ليه؟ هيفرق في إيه؟

يرتبك هيثم..

(هيثم)

ـ احم، لا خالص بس المعلومة دي سقطت مني.

تحدق نجوى في عينيه.

(هيثم)

ـ أصل يعني ما كنتش عارف إيه سبب إصرار مرات أبوكِ عليها.

(نجوى)

ـ دكتور، أنا تعبانة مش عايزة أكمل الجلسةالنهاردا.

(هيثم)

ـ ماشي ما فيش مشكلة يا نجوى، ارتاحي.

يخرج هيثم من الغرفة وتنظر نجوى أمامها مستعجبة.

كلنا مرضى نفسيون، نتأذى من مواقف وتعلق بصدورنا، حتى الدكتور النفسي، كم تعرض لمواقف هزمته!

في ليلة شتوية من الدرجة الأولى يقف هيثم تحت إحدى العمارات مختبئًا من المطر ويتذكر شيئًا من الماضي.

(Flash back)

يجلس هيثم على السفرة يتناول العشاء وتخرج طليقته علا من غرفة النوم وتنظر له بغضب وتجلس أمامه.

(علا)

ـ سقف الأوضة وقع علينا، ومية المطر بقت بتخش لنا، وبعدين؟

يكف عن تناول الطعام وينظر لها بقلة حيلة.

(هيثم)

ـ أنا معايا ربعوميت جنيه، وممكن أبيع الساعة اللي كنتِ جيباهالي هدية بألف جنيه.

(علا)

ـ اممم، وهتستلف الباقي من سامح صاحبك، خلاص حفظت الاسطوانة دي، أنت إيه يا شيخ؟ ما فيش عندك جديد؟

تقوم لتقف أمام النافذة ويأتي خلفها ويضع يده على كتفها.

(هيثم)

- يا علا يعني اعمل إيه؟ ما مرتبي على القد، وبعدين أنا دكتور، معقولة هخلص المستشفى وانزل اشتغل كاشير؟

تنظر له مجددًا.

(علا)

- لا يا هيثم، بس أنا عشت معاك ٣ سنين مرمطة، شقة إيجار قلت ماشي، سقفها واقع قلت ماشي، ما فيش فرح يا علا عشان المصاريف قلت ماشي، ما تاخديش فلوس من أبوكِ قلت حاضر، وآخرتها إيه؟ آديني زي ما أنا. من ساعة ما عرفتك وأنت كدا، ما فيش على لسانك غير منين واعمل إيه، دا حتى ما جبتش منك طفل يلهيني عن اللي عايشة فيه.

(هيثم)

- علا، أنا بحبك و..

(علا)

- والحب مش كل حاجة، الحب لازم يبقى بين أربع حيطان متأمنين، الحب لازم يبقى فيه أكل وشرب ولبس وعيشة زي الناس، الحب لازم يكون فيه

اجتهاد وسعي، مش كل سنة وأنا زي ما أنا، الحب بينتهي لما مشاكل الحياة بتكتر.

(هيثم)

- يعني إيه؟

(علا)

- يعني طلقني يا هيثم، طلقني.

ينتهي المطر ويسير هيثم متحيرًا، هل يوافق على عرض سعاد من أجل حياة كريمة؟ أم سيكون الأمر أشد تعقيدًا؟

نوافق على الأشياء دومًا اعتقادًا منا أننا مغصوبون، ولكن لا يوجد غصب، كل منا يفعل ما تميل إليه نفسه، كل منا يملك القوة ولكن معظمنا يداريها تحت ستار مغصوب.

يبدو أن الطبيب يحتاج إلى علاج أحيانًا أكثر من المريض.

على الضفة الثانية من المشهد كان مانو في أحد أماكن رسم الوشم ونائمة على بطنها أمامه امرأة تدعى "صولا" عارية، ترسم لها امرأة شكلها مخيف الوشم على أسفل ظهرها.

(صولا)

- بستمتع بوجع الوشم جدًا، مش نفسك تجربه؟

(مانو)

- لا خالص، ما جاش في بالي.

(صولا)

ـ ساعات بحس إنك مش شبهنا، وإنك مش في مكانك.

(مانو)

ـ أنا مش زيكم فعلًا، أنا مجرد مدير لحركة المنظومة.

(صولا)

ـ وتفتكر إن في مدير ما بيجربش اللي بيديره؟

(مانو)

ـ قصدك إيه؟

(صولا)

ـ قصدي إن أنت تقريبًا ما بتعملش حاجة ترضي "لوسفير".

(مانو)

ـ ازاي؟ ما أنا بشرب الخمرا وما بصليش.

(صولا)

ـ لا سيبك، دا إي عيل ممكن يعمل كدا، امم أنا قصدي إنك ما قتلتش، ما زنتش، ما قرأتش في الحمام.

(مانو)

ـ صولا، بلاش الأسلوب دا معايا.

(صولا)

ـ ظالم وهتخش الجنة، بس على فكرة أنا خايفة عليك.

(مانو)

ـ أنا بنفذ التعليمات.

(صولا)

ـ بس مش كلها، وقربك من نجوى دا بالذات هيضيعك.

(مانو)

ـ الخواجة "بترو" كلمك؟

(صولا)

ـ جايز.

وتضحك جدًّا، وهو يستغرب.

في نفس الليلة كانت نجوى في المستشفى، وتحلم بكابوس وتصحو مفزوعة وتفتح الأباجورة وتنظر جوارها ثم تشرب الماء، تأخذ نفسها وتتذكر شيئًا من الماضي.

(Flash back)

تقف نجوى على إحدى ماكينات الفيزا، الفيزا تقف في الماكينة، تغضب نجوى ثم تنظر أمامها فتجد شابًّا طويلًا يرتدي بذلة اسمه "سالم" يقترب منها.

(سالم)

ـ على فكرة المشكلة دي دايمًا بتحصل معايا، فاتعودت إن أخلي معايا كاش دايمًا احتياطي.

تنظر له باستغراب وهو يرتبك.

(سالم)

ـ أنا مش بعاكس خالص والله، أنا سالم الهندي صاحب محلات الهندي بتاعة الأجهزة الكهربائية.

(نجوى)

ـ شكرًا لحضرتك، بس أنا مش عارفة اقولك إيه.

(سالم)

ـ لو حابة إنك تستريحي في العربية عقبال ما اكلم البنك اتفضلي.

تركب نجوى السيارة، وبعد دقائق يركب سالم.

(سالم)

ـ أنا آسف والله البنك قال إن مش هيقدر يفعلك الخدمة قبل ٦ ساعات، تحبي تروحي فين؟

(نجوى)

ـ أي مكان تحبه.

(سالم)

ـ إذا كان كدا نطلع على مكان اسمه "سوا" على الطريق الدولي، هو اه استراحة بس تحفة.

(نجوى)

ـ أوكيه.

تذهب نجوى معه وهو يسوق، تقول له: ممكن تقف؟ عاوزة ارجع مش قادرة.

يقف سالم وتنزل وترجع وتقعد في السيارة في الطريق الصحراوي.

(نجوى)

ـ سواقتك صعبة أوي، مش بتخاف؟

(سالم)

ـ من كتر ما أنا بتأخر على مواعيدي اتعودت على السواقة بسرعة.

(نجوى)

ـ أنت متجوز يا سالم؟

(سالم)

ـ اه وعندي مالك تلت سنين.

(نجوى)

ـ امممم، وتفتكر مراتك تستاهل منك..

(سالم)

ـ ما تكمليش، قلتلك مش بعاكس وإني بحاول اساعدك.

(نجوى)

ـ أنت طيب أوي على فكرة، ودا مش حلو عشانك.

(سالم)

ـ يا ستي ما تدقيش، الاحترام دا طبع لازم يكون في كل بني آدم.

(نجوى)

ـ يلا نمشي.

يركبان السيارة، وتكون نجوى راكبة في الكرسي الذي في الخلف، ثم تقوم لتقف وتنظر له في المرايا وتقول له: اقف هنا بسرعة.

يقف سالم ثم تخرج السكين وتذبح رأسه.

ثم تسير بالسيارة وهو مقتول بجوارها، وتبتسم وهي تسمع أغنية "كان عنا طاحون ع نبع المي".

الغرفة مظلمة تمامًا ونجوى نائمة ترتعش في غرفة المستشفى.

نجوى تقتل الخير، الطيبين، اعتقادًا منها أنه لا يجوز لهم العيش وسطنا، نحن عالم مؤذٍ للغاية.

وفي صباح اليوم التالي، تجلس نجوى في جنينة المستشفى تقرأ كتابًا وبجوارها العكاز، تدخل عليها الممرضة "هناء" مبتسمة وتجلس بجوارها.

(هناء)

ـ تعرفي إن أنا بحبك أوي؟

(نجوى)

ـ أنتِ اللي عسل والله.

(هناء)

ـ بصي والله أنا مش عارفه اقولك إيه، بس أنا اللي هقوله دا عشان خايفة عليكِ.

(نجوى)

ـ اتفضلي، قولي ما تتكسفيش.

(هناء)

ـ أنا عارفة إنك كنتِ بتشربي مخدرات، وعارفة إن المدعوء دا شيطان ما حدش بيقدر يبطله بسهولة، بس بالله عليكِ تحاولي تبطليه، أنتِ جميلة وزي القمر والله.

تبتسم لها نجوى وتحتضنها وتهز رأسها لها بالموافقة.

(هناء)

ـ أنتِ بقى متجوزة؟

(نجوى)

ـ لأ.

(هناء)

ـ أنا قلت كدا برضه، أصل اللي جالك امبارح دا مش شكلا جوزك.

تضحك نجوى جدًّا.

(نجوى)

ـ وأنتِ متجوزة يا هناء؟

(هناء)

ـ يسمع من بقك ربنا، بقالي تلت سنين مخطوبة للواد عوض ابن عمتي وشايفة المر، تصدقي يا ست نجوى إنه صنايعي مكانيكي بريمو ونايم ليل نهار في البيت؟ وأنا والله تعبت، مرتبي بجهز بيه نفسي وبجهزه بيه.

(نجوى)

ـ معقولة؟ طب ما تسيبيه.

(هناء)

ـ ما ينفعش يا أستاذة، ما ينفعش.

تدمع، فتربت عليها نجوى.

(نجوى)

ـ ليه بس؟

(هناء)

ـ أنا عندي ٢٨ سنة، وحملت مرتين منه وسقطت، هقابلها ازاي على راجل تاني يشيل شيلة مش شيلته؟

تنظر لها نجوى نظرات غريبة.

(نجوى)

ـ أنتِ طيبة أوي يا هناء ودا مش كويس عشانك.

تنظر لها هناء باستغراب وتقوم مسرعة.

يدخل هيثم على نجوى في الجنينة ويجلس بجوارها وهو مبتسم.

(هيثم)

ـ إيه دا؟ أفوت جلسة ارجع الاقيكِ مشيتي وبقيتِ كويسة؟؟

يضحكون.

(نجوى)

ـ شفت بقى؟

(هيثم)

ـ لأ أنا من ناحية شفت فأنا شفت، والله أنا ما عارف كان لازمتها إيه الست سنين بتوع الكلية، ما الموضوع سهل اهوه.

(نجوى)

ـ اللي يشوفك دلوقتي ما يشوفكش امبارح، كان مالك؟

(هيثم)

ـ ما فيش، شوية مشاغل في البيت.

(نجوى)

ـ مشاغل في البيت ولا مشاغل في الباندا؟

يندهش هيثم ويبتسم ويقول:

(هيثم)

ـ لا لا باندا إيه، دا أمي تعبانة.

(نجوى)

ـ جايز.

(هيثم)

ـ طب ما دام أنتِ بقيتي كويسة كدا ما تيجي اكتبلك على تصريح خروج، وبالمرة نتعشى الليلة سوا.

تبستم له نجوى وتهز رأسها بالموافقة.

تأتي الحياة بما تشتهي الأنفس، نعتقد أحيانًا أن القرارات تبنى على يقين، ولكنها في الحقيقة تبنى على مشاعر.

من يأتي من زمن آخر ويقول لنا ماذا سيحدث عند اختيار شيء ما، نظن أحيانًا أن الخطط ستمشي كما نريد، وننسى إرادة الله.

في المساء وفي ليلة شديدة البرودة على كورنيش النيل بالتحديد عند إحدى عربات الكبدة، تجلس نجوى على المقعد ويأتي هيثم حاملًا طبق سندوتشات ويجلس بجوارها ويعطيها ساندوتش.

(هيثم)

ـ خدي يا ستي، ساندوتش كبدة إنما إيه، وصاية.

(نجوى)

ـ أنت حد قالك إنك مجنون قبل كدا؟

(هيثم)

ـ الله، اللللا هنغلط ولا إيه؟

(نجوى)

مش قصدي، بس يعني عازمك على العشا وبتاع وتيجي تأكلني من على عربية كبدة؟؟

(هيثم)

ـ عندك حق يا ستي، أنا بس كنت عايز افرحك، أنا لو عليا اقعدك في مطعم فايف ستار، بس أنا دي أقصى حاجة ممكن كنت اعملها.

(نجوى)

ـ تعرف إني ساعات بستغربك، اممم مش عارفة أنت طيب ولا شرير، ما بقدرش احدد شخصيتك.

(هيثم)

ـ برج عقرب بقى.

(نجوى)

ـ عارف ليه الإنسان بيكون عنده فضول؟ عشان الفضول بوابة جديدة لشيء ممكن يغير روتينه.

(هيثم)

ـ الفضول أسوأ شيء.

(نجوى)

ـ طب تعرف إيه أحلى حاجة في الدنيا؟ إن حد ما يخفش منك بعد ما حكيتله قد إيه أنت خاين وغدار.

(هيثم)

ـ أنا لو بعامل الناس باللي بسمعه عنهم كنت قطعت علاقتي بنص معارفي، وبعدين أنا دكتور، واللي حصلك دا كان مجرد مرض.

(نجوى)

ـ يعني اقتلك عادي دلوقتي؟

يشهق هيثم وينظر لها.

(هيثم)

ـ بس أنتِ مش قاتلة، أنتِ مريضة.

تضع نجوى الساندوتش في الطبق وتقوم لتقف على سور النيل، فيأتي هيثم وراءها.

(هيثم)

ـ أنا حاسس بيكِ.

(نجوى)

ـ ياااااه، أنا أول مرة حد يقولي الجملة دي.

(هيثم)

- عشان يمكن كل واحد من اللي قابلتيهم كان عايز منك حاجة، ما كانش عايزك.

(نجوى)

- بس مش صح، كل شخص قابلني كنت أنا اللي عايزة منه حاجة، أسوأ شيء إن العالم كله يغفر لك ذنب وأنت مش عارف تغفره لنفسك.

(هيثم)

- يمكن عشان ما خرجتيش من المحيط اللي بيفكرك بالذنب.

(نجوى)

- أنا خايفة من الموت، وفي نفس الوقت ما بستغلش أي فرصة إني أكفر عن ذنبي.

(هيثم)

- كل دقيقة جاية فيها فرصة ليكِ.

(نجوى)

أنا لأول مرة احس إني متطمنة. يبتسم هيثم ويربت عليها.

الخائف يبحث دومًا عن ساتر يختبئ فيه، أظن أن نجوى تتعلق بأي ساتر، أي جدار من الإنس لتختبئ فيه، يبدو أن هذا الجدار هو هيثم.

وهذا لو تعلمون يصعِّب الأمر على هيثم، يمكننا أن نبيع مبادئنا مقابل المال، ولكن هل نبيع من وثقوا فينا مقابل المال؟ أظن أن العالم لا يغفر لنا تلك الخطايا.

على الضفة الثانية من المشهد كانت سعاد وزوجها سيد حمدان في عشاء عمل مع شخص أجنبي، وكانت ترتدي فستانًا مفتوحًا جدًّا وتبدو مثيرة للغاية.

(سعاد)

- مسيو رؤول، أنا بقدملك حاجة تساوي مليارات، ودي مش أول مرة تتعامل فيها معانا، لازم تثق فينا.

(رؤول)

- مدام، احنا استنينا كتير، وخدنا وعود منكم كتير، أنا مش اقدر استنى أكتر من كدا، العميل بيموت في المستشفى خلاص الوقت مش في صالحنا.

(سيد)

- جرى إيه يا خواجة؟ ما الست قالتلك الموضوع في إيدينا، ليه مصمم تزعلنا منك؟

(سعاد)

- استنى يا سيد ما تتعصبش أنت، مسيو رؤول، افتكر إن لو عمولتك زادت ٥ مليون دا هيخليك تصبر يومين تلاتة كمان.

ينظر لها سيد بغضب.

(سيد)

ـ جرى إيه يا سعاد؟ ملاييه كتير أوي.

تنظر له سعاد بعدم تعبير.

(سعاد)

ـ سيد بيه، أفتكر معاد الدوا بتاع حضرتك جه، أفتكر تروح تاخده.

(سيد)

ـ دوا إيه؟

(سعاد)

ـ دوا السكر يا سيد بيه.

ينظر لها بغضب ويقوم، ثم تقوم وتقترب من فم رؤول وتحدق فيه عينيه.

(سعاد)

ـ أنا شكلي ما بقتش أأثر فيك.

(رؤول)

ـ نو نو سعاد، بس أنا مضغوط عليا.

(سعاد)

ـ طب ويا ترى ضغطي هيجيب نتيجة زي ضغطهم ولا أنا ما بعرفش اضغط؟

يعرق رؤول جدًّا.

(رؤول)

ـ سعاد احنا في فيلا هنا، مستر سيد يشوفنا.

(سعاد)

ـ صح، يبقى اجيلك السويت.

تبتسم وتبعد عنه وتسير أمامه فينظر إلى ظهرها ويأخذ نفسه.

من اعتاد القذارة لا يقلع عنها مهما تغيرت شخصيته، سعاد مثال للزوجة الخائنة عديمة الأخلاق، جسدها عندها أرخص شيء يمكن أن تقدمه لأي عابر.

تصعد سعاد إلى الغرفة فتجد سيدًا غاضبًا ويشرب خمرًا وسجائر، تدخل عليه وتنظر له باستغراب.

(سعاد)

ـ في إيه يا سيد؟ أنت مش طبيعي.

(سيد)

ـ وأنتِ عاوزاني أعمل إيه وأنتِ بتتصرفي من دماغك؟

(سعاد)

ـ هو أنت ما كنتش شايفه متسربع ازاي؟

(سيد)

ـ تقومي عطياله ٥ مليون دولار؟ دا غير الملايين اللي هتعطيها للدكتور، نكسب إيه احنا دلوقتي؟

(سعاد)

ـ هو أنت هتفضل على طول كدا متسرع؟

(سيد)

ـ أنتِ ما بترضيش تقوليلي بتعملي إيه، فهميني على الأقل.

(سعاد)

ـ ولما هتفهم هتعمل إيه.

(سيد)

ـ على الأقل هرتاح، قوليلي مثلًا عملتِ إيه مع الدكتور وليه اتأخر؟

(سعاد)

ـ مش عارفة، بس متأكدة إنه هيوافق.

(سيد)

ـ احنا هنقعد نطبطب؟ أنا هبعت اجيبه دلوقتي واخليه يقر.

(سعاد)

ـ وأنت تعرف منين إنه عارف أساسًا؟

(سيد)

ـ خلاص، اجيب نجوى واقررها.

(سعاد)

ـ أكبر غلط، نجوى روحها مش غالية، عندها تموت ولا إنها تتغلب مني.

(سيد)

ـ والحل إيه؟ نقعد حاطين إيدينا على خدنا، صح؟

(سعاد)

ـ لأ، المصلحة مش هتطير، بس اهدا.

ثم يسمعان صوت خبط في الخارج، تفتح سعاد فتجد ابنتها مايا التي في سن الـ ١٦ عامًا سكرانة ومرتدية ملابس عارية، تقفل باب الغرفة وتقف معها في الطرقة.

(سعاد)

ـ إيه اللي أنتِ عملاه دا؟

(مايا)

ـ إيه يا مامي؟ كنت خارجة مع الجروب.

(سعاد)

ـ سكرانة يا مايا؟

(مايا)

ـ سوري مامي، أنا كنت بس بجرب.

(سعاد)

ـ طب يلا على أوضتك يلا.

تنظر لها وتدخل غرفة النوم.

مايا ابنة سعاد وسيد، وهي نتاج شخصين أقذر من بعضهما، كما ترى، وصل بها الحال لهذا السوء، ماذا فعل بنا العالم لندفع ثمن أفعالنا دون أن نشعر؟

هناك أناس تحيا لتأمن أنفسها من عقاب ما، ولكن أي حاجز يبنى يمنع أعمالك!

في فجر اليوم التالي يقف هيثم وأمامه نجوى أسفل المبنى الذي تسكن به نجوى في ليلة شديدة البرودة.

(هيثم)

ـ أتمنى لو كنتِ اتبسطتِ.

(نجوى)

ـ أنا اتبسط عشان أنت كنت بتحاول بس تبسطني.

(هيثم)

ـ مش عارف أنا ليه قابلتك، تعرفي إن في صدفة حصلت أصلًا وقتها؟

(نجوى)

ـ صدفة إيه دي؟

(هيثم)

ـ كان أول يوم ليا في المستشفى، كنت لسه مطرود من مستشفى القصر العيني.

(نجوى)

ـ هههه، مطرود؟ دا ليه إن شاء الله؟

(هيثم)

ـ رئيس القسم يا ستي، كان مش عاجبه شغلي، بيقول إني شبه ما بستخدمش الصعق بالكهربا، عمومًا يعني أنا شايف إن المريض بيكون محتاج يتكلم أكتر من إنه ياخد كهربا زيادة.

(نجوى)

ـ مش عايزة اصدمك، بس أنت فعلًا بتسمع بس، يعني أنت لحد دلوقتي ما قلتليش عندي إيه، بعاني من أي مرض.

(هيثم)

ـ تصدقي أنا مش عارف، بايني دكتور أي كلام ولا إيه.

(نجوى)

ـ بس لذيذ وأنا حبيتك.

(هيثم)

ـ أيوه أيوه، بتثبتني اهوه عشان طمعانة في ساندوتش كبدة من عم محسن كلاوي.

يضحكون.

(نجوى)

ـ هيثم، لو على محسن كلاوي فأنا يا عم مابحبكش.

تلتفت عشان تطلع وتمشي خطوات ويكون هيثم واقف، ثم تلتفت له مرة أخرى وتقول:

(نجوى)

ـ أنت ما اتجوزتش ليه يا دكتور؟

(هيثم)

ـ مين قالك؟ أنا اتجوزت.

(نجوى)

ـ وفشلت في الجواز زي الطب؟

(هيثم)

ـ لأ، ما كانتش بتحب تاكل من عم حسين كلاوي.

تبتسم له وتطلع وهو يسير ويده في جيبه.

في صباح اليوم التالي يفيق مانو عاريًا، ينظر جمبه يلاقي صولا مرتدية ملابسها الداخلية فقط، ثم تفيق صولا وتنظر له.

(صولا)

ـ موت موت موت، أنت ازاي كدا؟ ما كنتش عارفة إنك سو هارد.

(مانو)

ـ صولا، أنتِ عاوزة إيه؟

(صولا)

ـ امممم، ليه لازم اكون عاوزة حاجة؟ بس لو لازم يعني اكون عاوزة فأنا خدت اللي أنا عاوزاه.

(مانو)

ـ أنتِ عارفة كويس إن اللي حصل دا ما ينفعش كان يحصل.

تضحك وهي ترتدي الروب، ثم تشعل سيجارة وتجلس بجواره.

(صولا)

ـ ليه؟ حرام مثلًا؟

(مانو)

ـ لأ، بس أنت عارفة أنتِ عندك إيه، عايزة تئذيني ليه؟

(صولا)

ـ اللي بيحب بيئذي، عشان يحس حبيبه بيحس بنفس وجعه، تفتكر التعاطف كفاية؟ يعني مثلًا لو حبيبك مات، من العدل إنك تعيش عادي؟ أفتكر إن أي حد بيحب حد بيكون عايز يعيش ويموت معاه.

(مانو)

ـ بس أنا ما بحبكيش يا صولا

(صولا)

ـ عارفة، أنت كنت عايز بس تدخلني الدايرة بتاعتك، اكفري يا صولا حاضر، هاتي صحابك وخليهم يكفروا حاضر، بس ما اعرفش ازاي كنت بطاوعك.

(مانو)

ـ ما حدش بيضرب حد على إيده.

(صولا)

ـ عندك حق، وأنت برضه ما اتضربتش على ايدك لما خلتني شريك في اللعبة.

(مانو)

ـ أنا عارف إن الناس بتاعة إيطاليا مش راضيين عني.

(صولا)

ـ جايز، بس لو أنا راضية عنك الكون دا كله هيكون تحت رجلك.

(مانو)

ـ جرى إيه يا صولا؟ الكلام دا بنقوله للمستجدين، مش أنا، دا أنا اللي بدعت اللعبة.

(صولا)

ـ وطباخ السم..

(هيثم)

ـ ما بيدوقوش يا صولا ما بيدوقوش.

نتغذى نحن على شرور أعمالنا، تضحكنا الحياة يومًا وتبكي علينا أيامًا.

صولا يومًا ما كانت ضحية مانو، سلبها إنسانيتها ودينها وكل شيء وقدمها لعالم موازٍ مؤذٍ، والآن يرى نتيجة أفعاله، مانو ضميره قد فاق من قريب وبدأ بالارتباك بين الرجوع أو أن يصل للنهاية في ذلك الطريق.

أظن أن المؤذي لا يستحق منا أي سماح، فقط هو لا بد أن يدفع الثمن كاملًا.

في نهار شتوي للغاية ترقص نجوى على أنغام أغنية "كان عنا طاحون ع نبع المي"، وفي يدها مج النسكافيه، ثم تجد خالدًا أخاها الطفل يأتي من الغرفة، تقفل الأغنية وتقترب منه، يبتسم لها خالد.

(نجوى)

ـ استنيتك كتير ما جتش ليه يا حبيبي؟

(خالد)

ـ أنا ما كنتش قادر اجيلك.

(نجوى)

ـ أنا اتبهدلت جامد يا خالد.

(خالد)

ـ عارف، بس بقيتِ أحسن.

(نجوى)

ـ أنا كنت خايفة أموت.

(خالد)

ـ ركزي في حكمة ربنا يا نجوى، هو اللي اداكِ عمر جديد تصلحي اللي اتكسر.

(نجوى)

ـ أنا ربنا عمره ما هيسامحني.

(خالد)

ـ ربنا بيحبك على الرغم من بعدك عنه، ومش هوصيكِ، خلي بالك من النار يا نجوى.

يختفي خالد فتجد جرس الباب يضرب بقوة، تروح لتفتح فتلاقي هيثم، يدخل هيثم.

(هيثم)

ـ قلقت عليك، ما بترديش ع الموبايل ليه؟

(نجوى)

ـ الموبايل كان سايلنت.

(هيثم)

ـ الحمد لله، قلت جاتلك حالة تشنج.

(نجوى)

ـ طب تعالى ادخل اقعد.

يدخلان معًا ويقعد على الكنبة.

(هيثم)

ـ أنتِ مش لازم تفضلي هنا لوحدك.

(نجوى)

ـ اعمل إيه يعني؟

(هيثم)

ـ مش عارف، بس أنتِ لازم حد يكون معاكِ.

(نجوى)

ـ أنت بجد اتخضيت عليا؟

(هيثم)

ـ ايوة أكيد، دا أنا حتى جبتلك الدوا اللي نسيت اديهولك.

(نجوى)

ـ دوا إيه يا هيثم؟

يعطي لها أقراصًا.

(هيثم)

- ابقي خدي دول كل تمن ساعات.

(نجوى)

- أوكيه، شكرًا بجد عشان بتحسسني بأهميتي عندك.

(هيثم)

- أنا ما عنديش أغلى منك يا نجوى.

(نجوى)

- طب هاخد الدوا واجيلك حالًا.

(هيثم)

- اه اه يلا.

بعد مرور نصف ساعة تكون نجوى نائمة وهيثم يقوم بالبحث عن الباندا ولا يجدها، يخرج وينظر إلى نجوى ويأخذ الأقراص ويذهب.

خرج هيثم يسير في الشارع ويجري وهو مخنوق ويدمع، ثم يقف ويسير ببطء ويقول لنفسه:

(هيثم)

- جرى إيه يا هيثم؟ أنت بتعمل إيه؟ أنت هتسمع كلام الست المجنونة دي؟ هتبيع ضميرك وشرفك عشان الفلوس؟؟ اه كان ضميري وشرفي عملولي إيه يعني؟ أنا طول عمري محتاج، طول عمري أقل من زمايلي. لا لا، الحرام ما بيدمش، ما ينفعش اعمل كدا.

حرام إيه يا دكتور يا متفوق؟ دي واحدة قتالة قتله والتانية بتتاجر في الآثار، ما تبقاش غبي. أعمل إيه يا رب؟ أعمل إيه؟

ثم تأتي سيارة سوداء تقف أمامه، ينزل منها شخصان يكتفانه ويأخذانه ويسيران بالسيارة.

تضعنا الحياة كثيرًا في اختبارات، تغرينا بما سنملكه لو خالفنا ضمائرنا، تبني لنا حواجز عن عالمنا وتُشعرنا بالانتصار وتنبهنا دومًا للفرص.

هيثم في اختبار صعب، لا يفهم نفسه.

فهل يحافظ على القسم الذي أقسمه أم يخالفه ويغير من نفسه؟

في مثل هذا الوقت في شارع جانبي من فيلا "سيد حمدان" يقف "مازن" الذي يبلغ من العمر ٢٢ عامًا بسيارته، وتأتي مايا تجلس بجواره ويبدو على مازن الغضب.

(مايا)

- هاي مازن.

(مازن)

- هاي يا مايا.

(مايا)

- قالب وشك ليه؟

(مازن)

ـ وهقلب وشي ليه؟ في حاجة تزعل يعني؟

(مايا)

ـ اه، أنا عارفة إنك زعلان مني.

(مازن)

ـ مايا أنا مقدر فرق السن بينا، ومقدر إنك لسه صغيرة، لكن أنا قبل ما نرتبط قلتلك إن في حاجات كتير لازم تتغير.

(مايا)

ـ أنا امبارح ما حستش بنفسي، وفجأة لاقيت نفسي بشرب ومش فايقة.

(مازن)

ـ وأخويا ييجي يقولي شايف مايا واحد بيوصلها امبارح، أنتِ مابتحترمنيش في غيابي، مايا لازم تفهي إن كلها سنة وهتخرج وابقى ظابط، ماينفعش تبقى خطيبتي بتسهر وبتشرب.

(مايا)

ـ سوري يا موزة والله، آخر مرة سامحني، وأخوك قالك إيه بقى؟

(مازن)

ـ قالي الحق حبيبتك راجعة نص الليل مع واحد، قفشت عليه وقلتله إنه ابن خالك، وحتى لحد دلوقتي متخانقين.

(مايا)

ـ بحبك.

(مازن)

ـ أنتِ تستاهلي ٣٠ قلم على وشك من كتر ما بتعكي الدنيا، بس هعمل إيه؟ بحبك ونصيبي ألم من وراكِ وادافع عنك.

تبتسم له وتحتضنه، وهو يربت عليها.

في مساء هذا اليوم يجلس هيثم في غرفة المكتب ويبدو عليه الزهق والتوتر، تدخل عليه سعاد وهي مبتسمة وتجلس أمامه وتشرب سيجارة.

(سعاد)

ـ ازيك يا دكتور؟

(هيثم)

ـ ازيي إيه؟؟ أنتِ ليه بتتعاملي معايا كدا؟

(سعاد)

ـ كدا ازاي؟!

(هيثم)

ـ خطفاني ومغمية عيني، هو في إيه؟

(سعاد)

ـ في إنك لسه ما نفذتش أي طلب من طلباتي، وكدا هضطر احول الطلبات لأوامر، عارف الفرق إيه؟

(هيثم)

ـ ايه؟

(سعاد)

ـ إن أنا الأوامر عندي بتتنفذ من غير مقابل.

(هيثم)

ـ ولو ما نفذتش؟

(سعاد)

ـ هقتلك وهبيع أعضاءك ب ٣٠ مليون دولار.

(هيثم)

ـ نعم؟؟

(سعاد)

ـ حقي يا دكتور، أنت مضيع عليا عملية ب٢٠٠ مليون دولار، ترضى لي الخسارة؟

(هيثم)

ـ أنا حاولت صدقيني.

(سعاد)

ـ عارفة، بس أنا ما بيكفنيش شرف المحاولة للأسف. أنت عندك اختيار واحد للأسف.

(هيثم)

ـ هي دايمًا بتتهرب مني، أنا حتى خدرتها ودورت في البيت كله ما لاقتش حاجة.

(سعاد)

ـ قدامك أسبوع، سبع أيام، يا تكون عندي الباندا يا تكون عندي جثتك، تقدر تروح يا دكتور.

تقوم وتشاور للجارد، يأتون ويغمون عينيه ويأخذونه.

في مثل هذه الليلة كانت مايا تقف مع آدم صديقها الذي يبلغ من العمر ١٧ عامًا أمام أحد الملاهي الليلة.

(مايا)

ـ آدم أنا خايفة.

(آدم)

ـ من إيه بس؟

(مايا)

ـ مش عارفة، مازن في أجازة من الكلية وحاسة إنه ممكن يكون بيراقبني.

(آدم)

- يووه، سي مازن دا هيبوظ الليلة ولا إيه؟ يا حبيبتي ما تخافيش، اللي زي مازن دا بينام العشا.

(مايا)

- عندك حق، طب أوكيه يلا بينا.

يدخل آدم ومايا الملهى معًا وسط مزيكا عالية جدًّا، ويدخلان غرفة الإضاءة بها حمراء وتجلس سيدة ظهرها عارٍ وبه وشم وتنظر لهما وتكون صولا، تبتسم لهما.

(صولا)

- آدم ازيك؟

(آدم)

- تمام يا صولا، احم، دي بقى مايا.

تحدق صولا في مايا.

(صولا)

- مازن حكالي عنك كتير.

(مايا)

- هو أول ما قالي عنك وعن الهايبر اللي بتوصلوله اتشوقت آجي اشوفك.

(صولا)

ـ والنهاردا أنا عزماكوا، بس قوليلي الأول يا مايا، أنتِ مسلمة ولا مسيحية؟

(مايا)

ـ اممم مسلمة.

(صولا)

ـ وعلى كدا بتصلي؟

(مايا)

ـ لا، ما افتكرش إني مرة صليت.

(صولا)

ـ جميل.

تقترب منها وتشم نَفَسَها فتستغرب مايا ثم تضع في فمها حباية.

(صولا)

ـ خليها تحت لسانك لحد ما تدوب.

قد أصبح الأمر أكثر تعقيدًا، هيثم يقف في موقف سيء جدًّا، ماذا تخبئ له الأيام؟ هل سيخون الثقة أم سيموت وهو يحافظ عليها؟

يجلس هيثم في غرفة نومه يفكر ثم يتصل بنجوى فترد.

(هيثم)

ـ آلو، ازيك يا نجوى؟

(نجوى)

ـ إيه يا هيثم رحت فين؟

(هيثم)

ـ ما فيش، كان ورايا مشوار مهم.

(نجوى)

ـ الحباية اللي أنت اديتهالي دي نيمتني.

(هيثم)

ـ اه هي بتنيم فعلًا، دا من آثارها الجانبية.

(نجوى)

ـ هيثم أنت كويس؟

(هيثم)

ـ اه جدًّا.

(نجوى)

ـ مش حساك، حاسة إنك مخبي حاجة.

(هيثم)

ـ لا لا أبدًا.

(نجوى)

ـ طب أنت فين؟

(هيثم)

ـ أنا في البيت اهوه هنام.

(نجوى)

ـ طب هتعدي عليا بكره؟

(هيثم)

ـ اه هجيلك.

يقفل هيثم السكة ويفكر في القادم وماذا يفعل فيه، ثم تدخل عليه أمه حاملة فنجان شاي وتجلس بجواره.

(الأم)

ـ مالك يا بني؟ مش عوايدك قاعد لوحدك.

(هيثم)

ـ والله يا ماما تعبان أوي، حاسس إني بنتهي.

(الأم)

ـ فضفض يا بني، احنا ما لناش إلا بعض.

(هيثم)

ـ اقولك إيه بس يا ماما؟ لو خيروك بين إنك تموت وبين إنك تقتل، تفتكري الواحد يعمل إيه؟

(الأم)

ـ إيه الصح فيهم؟ الموت علينا حق، بس القتل علينا ذنب.

(هيثم)

- حتى لو القتل دا هيغير حياتك؟

(الأم)

- أنهي حياة؟ وقتها قد إيه يعني؟ سنة؟ اتنين؟ عشرة؟ عشرين؟ مش كتير، وهتعيشهم برضه وبيطاردك ذنبك.

(هيثم)

- عندك حق.

(الأم)

- اسمع يا بني، في الحياة دي في ناس بتشتري دنيتها وناس بتشتري آخرتها، واللي بيشتري دنيته هو اللي اختار، نام يا هيثم وسيبها لله.

تخرج الأم من الغرفة وهيثم يغمض عينيه وهو مخنوق.

وفي نفس الليلة تصل مايا وآدم سكرانين في السيارة ومايا تضحك ضحكًا هستيريًّا وتدخن سيجارة.

(آدم)

- يا بنتي اهدي هتفضحينا.

(مايا)

- إيه دا؟ إيه الدماغ دي؟ بجد أنت حد جامد فشخ.

(آدم)

ـ عشان تعرفي بس إن الشقاوة فينا.

(مايا)

ـ بس ما لاحظتش حاجة؟

(آدم)

ـ إيه هي؟

(مايا)

ـ إن صولا دي بتشرب كتير فشخ وبتقعد تقول كلام غريب قدام رسمة الكلب اللي ع الحيطة.

(آدم)

ـ اه دا أصل.. يا ستي ما تركزيش، المهم إن الدماغ تمام.

(مايا)

ـ على رأيك، يلا باي.

تنزل من السيارة وآدم يذهب إلى منزله.

في صباح اليوم التالي يجلس هيثم ونجوى في أحد الكافيهات ونجوى مبتسمة وهيثم حزين.

(نجوى)

ـ عارف إن أنا بقيت أحسن في كل حاجة؟

(هيثم)

ـ ويا ترى دا بسبب إيه؟

(نجوى)

ـ مش عارفة، بس فجأة حسيت إني عايزة اعيش.

(هيثم)

ـ أنا مقتنع دايمًا إن كل حاجة بتحصل للبني آدم بتبقى بسبب.

(نجوى)

ـ يمكن ظهورك في حياتي غيرلي معاني كتير.

(هيثم)

ـ ما افتكرش إن أنا دكتور شاطر للدرجادي.

(نجوى)

ـ ممكن، بس إنسان شاطر جدًّا.

(هيثم)

ـ إنسان!

(نجوى)

ـ تعرف إن أهم حاجة في الدنيا إنك تكون إنسان، تكون بتحس وبتسمع وبتقدر وبتجبر الخاطر.

(هيثم)

- بس ما افتكرش إن ممكن اكون إنسان خالص، أصل هتفيد بإيه الإنسانية وأنت تعبان؟

(نجوى)

- وإيه تاعبك؟ أكيد حسين كلاوي.

يضحكون.

(هيثم)

- أنا تعبان من يوم ما اتولدت.

(نجوى)

- دا ازاي دا؟

ينظر لها بحزن..

يخرجان من الكافيه ويسيران معًا على كورنيش النيل القاهرة.

(هيثم)

- يوم ما اتولدت كان عندي حاجة اسمها الصفرا، فضلت ست شهور لحد ما بقيت كويس، وقتها أبويا كان مات بسبب فيرس سي اللي كان مبهدله، أمي نزلت اشتغلت عشان تربيني. أنا بقى اشتغلت وأنا عندي ١٢ سنة صبي مكانيكي، بلية يعني، كان بيضربني بسبب ومن غير سبب، فضلت شغال معاه لحد أولى ثانوي. وبعد كدا اشتغلت في مطعم، بغسل صحون

لحد آخر يوم ليا في الكلية، كنت دايمًا أقل في كل حاجة، حتى لما اتجوزت كنت قليل في عين مراتي.

(نجوى)

ـ ياااااه! للدرجادي؟ أنت طلعت حكايتك حكاية.

(هيثم)

ـ الحمد لله.

(نجوى)

ـ كنت بتحبها؟

(هيثم)

ـ مش عارف، ساعات.

(نجوى)

ـ بس دا ما يبقاش حب.

(هيثم)

ـ وأنتِ تعرفي الحب بقى؟

تخجل نجوى وتصمت.

(هيثم)

ـ أنا آسف ما اقصدش.

(نجوى)

ـ أنا يمكن ما حبتش ويمكن مجرمة، بس عارفة يعني إيه مشاعر، تقريبًا دي حاجة ما بتتعلمش، دي حاجة

ربنا بيخلقنا بيها، أنت عارف إن كانت أكبر أمنية عندي إني أحب؟ الحب بيغير كل حاجة.

(هيثم)

ـ والفلوس بتعمل إيه؟

(نجوى)

ـ بتغير كل حاجة للأسوء.

(هيثم)

ـ ممكن.

(نجوى)

ـ أنا عايزة أغير البيت، ما بقتش حابة افتكر. أنا اه خفيت ما عدتش بشوف خيالات خالد، بس الشياطين اللي عايشين معايا مش سايبني في حالي.

(هيثم)

ـ تمام يا نجوى، تعالي ننزل نشوف شقة تانية.

يسيران معًا، ماذا يخبئ هيثم في صدره؟ وهل هذه بوابة لحياة أخرى لنجوى؟ سيموت كل شيء إذا مات هيثم في نظرها، فماذا تخبئ الأيام؟

مانو يجلس في منزله يشرب الخمر ويدخن سجائر كثيرة، ثم يأتي له هاتف فيرد.

(مانو)

ـ آلو، مين؟

(شخص)

ـ الساعة ٢:٠٠ تبقى في النايت كلوب.

ويقفل السكة في وشه، يشرب مانو كأسًا من الخمر، ثم يتعصب ويكسر الكأس.

بعد مرور ساعة كانت نجوى وهيثم في المقابر يقرآن الفاتحة لخالد، وبعد الانتهاء تنظر نجوى لهيثم وتقول:

(نجوى)

ـ تعرف إن دي أول مرة آجي هنا؟

(هيثم)

ـ اممم، وليه جيتي النهاردا؟

(نجوى)

ـ عشان ما كانش بيوحشني، كان دايمًا بيجيلي.

(هيثم)

ـ اه.

(نجوى)

ـ عارف إنك فيك منه شوية؟ يعني ساعات بحس إنك حنين، ساعات.

(هيثم)

ـ ومين قالك إني حنين؟ مش يمكن بمثل؟

(نجوى)

ـ لا أنا بثق فيك وبثق في إحساسي.

(هيثم)

ـ تعرفي إن أنتِ حلوة؟

تنظر نجوى إلى القبر وتقول:

(نجوى)

ـ شوف يا عم خالد، اهو بيعاكسني قدامك اهوه.

يضحكون.

في نفس اليوم الساعة ٢:٠٠ يجلس مانو مع "بترو" و"صولا" على طاولة.

(بترو)

ـ سمعت إنك بقيت بتهرب ناس يا مانو.

(مانو)

ـ احم، أنا؟ لا طبعًا، أنا بس بلاقي إنهم مش مفيدين لينا.

(بترو)

ـ ومن إمتى أنت بتحدد؟ دا أنت نسيت إن ليك حد كبير ترجعله.

(مانو)

ـ لا ما نسيتش، وأنا آسف فاتتني.

(بترو)

ـ مانو حبيبي، أنا افتكر إن أنت بقيت تخاف، ودا مش حلو خالص، فعشان كدا بقول لو تريحلك فترة وصولا تشيل عنك.

(صولا)

ـ بس أنا مش استبن.

(بترو)

ـ صولا، خلي بالك واعرفي أنتِ بتتكلمي مع مين.

(صولا)

ـ عارفة كويس، وبقول لحضرتك إن أنا لو بقيت البوص مش هرجع تاني أسيستنت، ودا كلام ما يزعلش حد.

(مانو)

ـ أوكيه، أنا موافق، وموافق كمان إني اخرج برا الجمعية دي، سلام.

(بترو)

ـ استنى مانو، مش بسهولة دي.

(مانو)

ـ ولا بالصعوبة اللي أنت متخيلها، أنا اللي عملتها هنا وأنا اللي اعرف أنهيها.

يخرج مانو متنرفز وينظر بترو لصولا.

وفي عصر هذا اليوم تفوق سعاد من النوم ويكون رؤول بجوارها، يستيقظ رؤول ويبتسم لها، وهي تشعل سيجارة وتجلس على السرير.

(سعاد)

ـ كنت فظيع امبارح.

(رؤول)

ـ إيه سعاد هي أول مرة؟

(سعاد)

ـ تعرف إن أنا بستنى اليوم اللي تنزل فيه مصر عشان ابقى في حضنك؟

(رؤول)

ـ وسيد مش بتحبي حضنه؟

(سعاد)

ـ قذر حضنه أناني.

(رؤول)

ـ هه، أومال ناس تقول عصب مصر عصب مصر.

(سعاد)

ـ ما لهاش علاقة بالعصب، ليها علاقة بالحنية، وهو ما فيهوش ذرة حنية.

(رؤول)

ـ وليه اتجوزتيه؟

(سعاد)

ـ ما كانش قدامي إلا هو.

يأتي هاتف لسعاد فترد وتقول:

(سعاد)

ـ اه، من عند المدافن خالد تمام تمام.

تقفل السكة.

(رؤول)

ـ في حاجة؟

(سعاد)

ـ لأ خالص ما فيش.

تسرح سعاد وتفكر إيه اللي موديهم هناك، هل الباندا متواجدة هناك أم لا؟

في مساء هذا اليوم تكون مايا وآدم في الملهى الليلي يشربون ويرقصون، ثم تأتي صولا وتقول:

(صولا)

ـ هايل يا مايا، دماغك حلوة.

(مايا)

ـ أوي أوي، أنا مبسوطة فشخ.

(صولا)

ـ طب تعالي معايا هبسطك أكتر.

تأخذها وتذهب ثم ينظر آدم إليهما من بعيد، تأخذها وتدخل إلى غرفتها ويجلسان أمام المرآة.

(صولا)

ـ أنا جايباكِ عشان اتعرف عليكِ.

(مايا)

ـ أوكيه، أنا مايا سيد حمدان، ستاش..

(صولا)

ـ إيه؟ أنت بنت سيد حمدان المقاول؟

(مايا)

ـ أيوه بابي.

(صولا)

ـ لا دا أهلًا أوي.

(مايا)

ـ أنتِ تعرفي بابا؟

(صولا)

ـ ومين ما يعرفش أبوكِ؟ دا أغنى رجل أعمال ومقاول في مصر، مش قناة "بتوقيت القاهرة" بتاعتكم برضه؟

(مايا)

- أيوة.

تمسك ماكينة الوشم وتقول لها: هاتي إيدك.

تعطي لها يدها وتبدأ في رسم نجمة داود على يدها، تتألم مايا وتمسك صولا يدها بعنف.

(صولا)

- ما تخافيش.

تستمر في الرسم وبعد دقائق تنتهي، تمسك مايا يدها وتتألم، تبتسم صولا وتشعل سيجارة، وتقترب وتحط لها حباية في فمها.

(صولا)

- دي هتخليكي تنسي الألم.

(مايا)

- أنتِ ليه عملتيلي وشم؟

(صولا)

- بس دا مش أي وشم، دا تقدري تقولي علامة بإنك تنتمي لعالمنا.

(مايا)

- عالم إيه؟

(صولا)

ـ العالم الآخر، اللي بتملكي فيه كل متع الدنيا، الدماغ الحلوة القادرة على الأذية وكمان الخير.

(مايا)

ـ واو، هو في حد يقدر يعمل كل دا؟

(صولا)

ـ أكيد ، تقدري تقولي بمجرد ما هتخشي جوانا ما فيش حاجة اسمها قدر، أنتِ عارفة؟ وكمان ما فيش حاجة اسمها موت.

(مايا)

ـ ازاي دا؟ هو في حد ما بيموتش؟

(صولا)

ـ اه، أنا وكل اللي برا دول، حتى آدم ما بيموتش.

(مايا)

ـ بتفضلوا عايشين لحد إمتى؟

(صولا)

ـ لحد ما الأرض دي تنتهي.

(مايا)

ـ أنا متشوقة ادخل عالمكم.

تبتسم صولا لها وتنظر نظرات شر.

وفي مساء هذا اليوم كان مازن جالسًا في أحد كافيهات التجمع الخامس وينظر في ساعته ويبدو عليه الزهق، ثم تدخل عليه مايا مبتسمة.

(مايا)

ـ هاي، مالك مكشر ليه؟

(مازن)

ـ والله؟ كل دا؟ كنت همشي على فكرة.

(مايا)

ـ سوري بقى والله صحيت متأخر.

(مازن)

ـ إيه دا؟

ينظر إلي يدها وهي تداري الوشم.

(مايا)

ـ إيه؟ دا تاتو.

(مازن)

ـ تاتو؟! أنتِ مش شايفة إن الرسمة غريبة؟

(مايا)

ـ لا غريبة إيه دي مشهورة جدًّا.

(مازن)

ـ مايا، أنتِ في حاجة مخبياها عليا؟

(مايا)

ـ لا يا مازن، ويا ريت بقى تبطل دور الظابط دا.

(مازن)

ـ هو عشان خايف عليكِ تقوليلي دور الظابط؟

(مايا)

ـ لأ، بس أنت بتحسسني دايمًا إني غلطانة وإني بخبي عليك.

(مازن)

ـ حقك عليا، خلاص.

مايا تصمت ويكون على وجهها آثار الحزن.

(مازن)

ـ خلاص فكي بقى، كل سنة وأنتِ طيبة، بعد بكره عيد ميلادك، بقيتي ١٧ سنة، الطفلة اللي ربتها على إيدي بتكبر قدامي، بحبك.

(مايا)

ـ غلس أوي.

(مازن)

ـ وبذمتك في غلس بيحب كدا؟

(مايا)

ـ لأ الصراحة.

وتبتسم له.

(مازن)

- آخر سنة ليا في الكلية وهتخرج وابقى حضرة الظابط، ووقتها هعتقل أي حد يضايقك، عمومًا يعني اللي هيقربلك هاكله بسناني.

(مايا)

- شرير أوي.

(مازن)

- لأ بحبك أوي.

يا لها من لحظه سعيدة تمر على مايا، يبدو على مازن الحب والمودة، العالم كله يبحث عن لحظة كهذه، في نفس التوقيت في ليلة شتوية كانت تجلس نجوى مع هيثم في منزلها وأمامهما الدفاية ويشربان نسكافيه.

(نجوى)

- شكرًا.

(هيثم)

- على إيه بس؟

(نجوى)

- على إنك جيت معايا لحد هنا، أنا حقيقي بقيت اخاف أنام لوحدي، شايف اللي هناك دول؟

تشاور له على بعض العرائس.

(هيثم)

ـ مالهم؟

(نجوى)

ـ بمجرد لما بكون لوحدي بيتكلموا وبيئذوني، أنت ما تعرفش بيعملوا إيه.

(هيثم)

ـ بيعملوا إيه؟

ينقطع التيار الكهربي ويظلم المكان تمامًا ويكون مصدر الإضاءة الوحيد نيران الدفاية، وترتمي نجوى في حضنه من الخوف.

(نجوى)

ـ شفت؟ أهم هيبدؤوا.

ثم تفتح إضاءة غرفة مغلقه ويبان هذا من زجاج الباب.

(هيثم)

ـ هو إيه اللي بيحصل؟

(نجوى)

ـ مش عارفة، أول مرة يعملوا كدا.

يأخذ هيثم نجوى ويفران هاربين من المنزل، ويذهبان معًا ويسيران والشارع فارغ تمامًا.

(نجوى)

ـ كنت خايف عليا؟

(هيثم)

ـ أكيد.

(نجوى)

ـ ما بقتش أخاف وأنت جمبي.

(هيثم)

ـ عارفة إن أنا مبسوط إني بسمع منك الكلام دا؟

تبتسم له، ثم يرتبك ويقول:

(هيثم)

ـ كنتِ بتكرهي مرات أبوكِ؟

(نجوى)

ـ ما كرهتش قدها، هي اللي خربت بيتنا.

(هيثم)

ـ وعشان كدا ما رضتيش تديها الباندا؟

(نجوى)

ـ لأ، أنا أصلًا ما اعرفش إية حكاية الباندا دي، ومش عارفة هي ليه كانت بتسأل عليها.

(هيثم)

ـ امممم اه فعلًا، بس هي موجودة، صح؟

(نجوى)

ـ اه.

(هيثم)

ـ احنا لازم نبص عليها تاني، جايز نكتشف حاجة.

(نجوى)

ـ امممممم ماشي.

(هيثم)

ـ ممكن تثقي فيا؟

(نجوى)

ـ ليه بتقول كدا؟

(هيثم)

ـ مش عارف، بس أنا محتاج ثقتك جدًّا.

تبتسم له نجوى وهو يبتسم لها.

يمر الليل هادئًا ويأتي صباح اليوم التالي في منزل مانو، يجلس مانو يتعاطى الهروين ويبدو على شكله التغيير وتحت عينيه أسود، ثم تفتح الباب صولا وفي يدها سيجارة وتجلس بجواره.

(صولا)

ـ وحشتني.

ينظر لها بغضب.

(صولا)

ـ إوعى تكون فاكر إن أنا بكرهك.

(مانو)

ـ ما عادتش تفرق.

(صولا)

ـ فاكر يا مانو أول يوم شوفتك فيه من ١٠ سنين؟

لاقتني تايهة وهربانة من بيت أهلي، هه، ساعة ما وهمتني بالحب وبعد كدا اكتشفت إنك ديب.

(مانو)

ـ وجتلك الفرصة دلوقتي تنتقمي، بس أنتِ كمان نسيتِ إني انتشلتك من كلاب الشوارع وعيشتك في مستوى عمرك ما كنتِ تحلمي تعيشي فيه، أنتِ كمان نسيتِ إني حميتك من أهلك الصعايدة اللي كانوا هيدبحوكي.

(صولا)

ـ أنا ما نسيتش، بالعكس، أنا فكرالك كل حاجة.

ينظر لها بغضب ويشم سطر هروين، تضع يدها على رأسه وتحركها وتنظر في عينيه.

(صولا)

ـ أنا بحبك يا مانو، بعشق كل حاجة فيك، ضحكتك، نظرتك، غضبك، أنا ماحستش بالأمان غير معاك صدقني.

(مانو)

ـ أنتِ إيه؟ ما بتزهقيش كدب؟

(صولا)

ـ لا ما بزهقش إن أحبك، أنت عارف أذيتني إزاي؟ إنك خليتني مهما شوفت منك وحش ما اكرهكش.

(مانو)

ـ مش بتكرهيني وتبيعيني لبترو والجماعة بتوع إيطاليا، صح؟ أنا مش اهبل يا صولا.

(صولا)

ـ أنت مش فاهم حاجة.

(مانو)

ـ فهميني.

(صولا)

ـ أنا ما انكرش إني كنت عايزة ابقى الريس، بس بعد كدا بقيت عايزة ابقى الريس عشان آخد قرار أنت عمرك ما كنت هتاخده.

(مانو)

ـ ويا ترى إيه هو القرار؟

(صولا)

ـ نبطل..

(مانو)

ـ أنتِ هتستعبطي عليا؟

(صولا)

ـ لأ، أنا هبطل، هسيب العالم دا واتوب.

(مانو)

ـ نتوب اه.

(صولا)

ـ بس لو بطلنا هنموت من الجوع، ما تنساش إن العز دا من التمويل.

(مانو)

ـ وأنتِ يا عبقرية هتعملي إيه.

(صولا)

ـ هقولك بس توعدني إنك تمشي معايا من العالم دا.

ينظر لها بعدم ارتياح ويهز رأسه بالموافقة.

على الناحية الأخرى في منزل هيثم تجلس أمه تصلي على الكرسي، وتخرج نجوى من الأوضة وتحدق فيها، ثم تنتهي أم هيثم من الصلاة وتنظر لها.

(الأم)

ـ تعالي.

تقترب نجوى منها وتجلس بجوارها.

(الأم)

ـ مالك فيكِ إيه؟

(نجوى)

ـ مش عارفة، بس أنا نفسي أصلي.

(الأم)

ـ طب ما بتصليش ليه؟

(نجوى)

ـ مش بعرف، عمري ما صليت.

(الأم)

ـ حافظة الفاتحة؟

(نجوى)

ـ اه وسورة الناس.

(الأم)

ـ بجد؟ طب قوليها كدا.

(نجوى)

ـ استني، احم احم.."قل أعوذ برب الناس ملك الناس..

تبتسم الأم وتكمل لها.

(الأم)

ـ إله الناس، من شر الوسواس..

في صوت واحد:

(نجوى ـ الأم)

ـ الخناس، من الجنة والناس.

(الأم)

ـ شاطرة يا نجوى، تعالي نتوضا عشان نصلي.

بالتأكيد لحظة غير عادية تشعر بها نجوى، ما أجمل أن يقترب العبد لله بعد جبل من المعاصي.

تتوضأ نجوى وتعلمها الأم الوضوء الصحيح. ويخرجان ويبدآن في الصلاة، تكون الأم جالسة وبجوارها نجوى وتقول الأم:

(الأم)

ـ الله أكبر.

ثم يخرج هيثم من الغرفة ويشاهد المنظر ويبتسم جدًّا ويدخل إلى دورة المياه وهو سعيد.

في عصر هذا اليوم في منزل سعاد، تجلس مايا ليست على عادتها وتبدو متوترة وتتصل بآدم.

يرد ويقول:

(آدم)

ـ مايا صباح الخير؟

(مايا)

ـ آدم أنا عايزة اشوفك حالًا.

(آدم)

ـ إيه دا في إيه؟

(مايا)

ـ دماغي هتتفرتك، عاوزة حباية، اللي معايا خلصوا.

(آدم)

ـ أنا كمان ماعييش، احنا لازم نروح لصولا.

(مايا)

ـ مش هقدر استنى لبليل، آدم، أنا عورت نفسي من شدة الألم اللي ف مكان الوشم، دا مش طبيعي يا آدم.

(آدم)

ـ طب اهدي، كمان ساعة هعدي عليكِ آخدك.

ماذا جري لمايا؟ وما هو نوع هذا المخدر الشيطاني؟ يبدو أنها بداية الموت أو بداية حكاية جديدة أو كارثة.

وفي هذا التوقيت كانت تقف نجوى مع أم هيثم في المطبخ يحضران الطعام.

(الأم)

ـ دوقي كدا الملوخية شوفيها استوت ولا لا.

(نجوى)

ـ حاضر.

تدوق الملوخية.

(الأم)

ـ إيه استوت؟

تضحك نجوى.

(نجوى)

ـ مش عارفة.

تقوم الأم وتدوق الملوخية وتقول: الله، ما هي زي الفل اهي، لا أنتِ من هنا ورايح هتتعلمي الطبيخ.

يدخل عليهما هيثم ويقطع حديثهما.

(هيثم)

ما تحاوليش يا ماما، نجوى هتفشل.

(نجوى)

ـ لا والله، لعلمك بقى أنا أحسن واحدة تعمل بيض مدحرج.

(الأم)

ـ إيه البيض المدحرج دا؟

(هيثم)

ـ لا يا أمي دا بيض مسلوق بس هما بيدلعوه.

يضحكون.

(نجوى)

ـ والله يا ماما هيثم ابنك دا فايق ورايق.

(الأم)

ـ وإيه يعني؟ ربنا يروق باله وبالك.

(هيثم)

ـ لا بعيدًا عن الهزار فنجوى ست البنات وشاطرة في كل حاجة.

تبتسم نجوى وتنظر في عين هيثم وتنظر الأم لهما وتبتسم وتكمل طهي.

يجلس هيثم في مساء هذا اليوم في غرفة الصالون ثم تأتي رسالة له مكتوب فيها: "لسه خمس أيام"، يتخض هيثم ويحذف الرسالة فيلاقي نجوى أمامه تنظر له وتقول:

(نجوى)

ـ يلا بينا، أنا جهزت.

(هيثم)

ـ يلا ماشي.

يخرج هيثم مع نجوى من المنزل وتبدو عليه آثار التوتر، ماذا يفعل هيثم؟ يمر الوقت من حوله ولا يستطيع الاعتراف لنجوى.

على الصعيد الآخر كانت مايا تجلس في غرفة صولا هي وآدم ومانو ثم تدخل عليهم صولا وتكون مايا متوترة من أثر فقدان المخدر.

(مايا)

ـ صولا أنا تعبانة أوي، أنا عايزة حباية.

(صولا)

ـ للأسف ما فيش.

(مايا)

ـ لأ أبوس إيدك أنا هديكِ أي فلوس محتاجاها.

(صولا)

ـ فلوس إيه يا بنتي؟ أنا مش عايزة فلوس.

(مايا)

ـ أومال؟

(صولا)

ـ أنا عايزة روحك، تفكيرك.

(مايا)

- ازاي؟

(صولا)

- قولها يا آدم.

(آدم)

- أنتِ لازم تسجديله.

(مايا)

- هو مين؟

يرتبك آدم وينظر لهما ثم ينظر لمايا.

(آدم)

- لإبليس.

(مايا)

- نعم؟!

(صولا)

- هو دا بقى عالمنا اللي أنتِ عوزتي تدخليه، هو دا العالم اللي هيخليكي تكسبي الدنيا ويبقى كل شيء تحت رجلك.

(مايا)

- بس دا..

(صولا)

ـ ما بسش، أنتِ خلاص دخلتِ العالم، ومطلوب منك حاجتين، قربان وسجود.

(مايا)

ـ أنا موافقة بس أبوس إيدك هاتيلي حباية.

تبتسم صولا لهم، قد دخلت مايا عالمهم من أوسع أبوابه، دخلت وقدماها انغرست في الطغيان.

لا أعلم كيف يؤمنون هؤلاء بشيء كهذا، كيف قدر الملعون على إقناعهم بأنهم سيمتلكون العالم؟

ولكن الأمر هنا جاء بالغصب، إنهم تجار متع ليس أكثر، لا أعرف إلى أين نذهب في هذا العالم، أعتقد أن النهاية قريبة.

في هذا التوقيت كان قد وصل هيثم هو ونجوى إلى منزل مانو، وكانا يخبطان على الباب ولكن ما حدش بيرد، ثم تتصل نجوى بمانو فيرد.

(نجوى)

ـ آلو، أيوة يا مانو أنت فين؟

(مانو)

ـ أنا ف النايت كلوب، أنتِ فين؟

(نجوى)

ـ أنا عند البيت عندك، أنت هتتأخر؟

(مانو)

ـ لأ، ربع ساعة وابقى عندك.

تقفل السكة وتنظر لهيثم: تعالى نقعد نستناه، يجلسان معًا على السلم.

(نجوى)

ـ ما كنتش متخيلة إننا هنشوف بعض بعد المستشفى.

(هيثم)

ـ بس أنا كنت متأكد من دا، من أول يوم شوفتك فيه حسيت إنك قريبة مني، أنا ارتبطت بروحك من أول يوم دخلت عليكِ الأوضة.

(نجوى)

ـ تفتكر هييجي يوم ما نكونش سوا؟

يحزن هيثم وينظر لها بحب ويقول:

(هيثم)

ـ أتمنى ما يجيش يوم واندم على أي حاجة.

(نجوى)

ـ وإيه ممكن يندمك في وجودي؟

(هيثم)

ـ الدنيا عمرها ما بتدي كل حاجة، دايمًا كل صفقاتها عبارة عن حاجة رخيصة مقابل حاجة غالية.

(نجوى)

ـ أنا عمر الدنيا ما ادتني حاجة، أنا دايمًا باخدها منها غصب، إلا أنت، إلا أنت يا هيثم، بقيت اتمنى اعيش يوم زيادة عشان اشوفك، تعرف إن النهاردا كنت مبسوطة عشان صليت؟

يبتسم لها هيثم وينظر لها نظرة تأنيب ضمير.

(نجوى)

ـ أنا دعيتلك وأنا ساجدة في الصلاة، دعيتلك إنك تفضل، ما اعرفش دي تتحسب دعوة ليا ولا ليك.

(هيثم)

ـ إني أفضل دا كابوس عشانك، أنا ما استاهلش.

(نجوى)

ـ ليه بتقول كدا؟

(هيثم)

ـ عشان أنا فاشل.

(نجوى)

ـ الفلوس مش..

(هيثم)

ـ لأ لأ يا نجوى، الفلوس كل حاجة.

(نجوى)

ـ أنت اللي بتقول كدا؟

يدخل عليهما مانو ويقول:

(مانو)

ـ مساء الخير، تعالوا ادخلوا ادخلوا.

يدخلون معًا المنزل ويكون غير مرتب وتوجد زجاجات خمر كثيرة، ويجلس هيثم ونجوى بعضهما بجوار البعض.

(مانو)

ـ معلش بقى البيت مبهدل، بس أنتوا منورين.

(هيثم)

ـ دا نورك يا مانو.

صمت لمدة ثوانٍ.

(نجوى)

ـ مانو أنا جيالك عشان حاجة مهمة جدًّا.

(مانو)

ـ اتفضلي.

(نجوى)

ـ قبل ما اقولك الحاجة المهمة دي أنا عايزة ابلغك إني خلاص بطلت شغل.

(مانو)

ـ أنتِ عارفة عواقب دا كويس؟

(نجوى)

ـ عارفة، وشوفت، وكمان هيثم شاف معايا.

(مانو)

ـ أنا مش هقنعك بحاجة، لو كان على الناس بتوع إيطاليا فأنتِ مش مهمة بالنسبة ليهم، إنما بقى الملعون فأنتِ استخدمتِ طلسمه.

(نجوى)

ـ عارفة، وعشان كدا سيبت البيت وهاخد شقة تانية، وهحصن نفسي كويس بالقرآن والصلاة.

(مانو)

ـ اللي تشوفيه، المهم إيه الحاجة اللي جيتِ عشانها؟

(نجوى)

ـ فاكر الباندا اللي جيتلك بيها هنا يوم لما جاسر ظهرلي؟!

(مانو)

ـ اه فاكرها.

(نجوى)

ـ لسه موجودة عندك؟

(مانو)

ـ تقريبًا في أوضة الكراكيب، استني هدخل اشوفهالك.

يقوم مانو ويغيب ٣ دقائق ويعود مجددًا وفي يده الباندا ويعطيها لها.

(مانو)

ـ اهي يا ستي، بس غريبة، جاية عشان الباندا بس؟

(نجوى)

ـ اه، جه على بالي من يومين اعرف مرات أبويا كانت بتطلبها مني ليه.

(مانو)

ـ اه.

(نجوى)

ـ معلش تعبتك معايا، أنا لازم امشي.

(مانو)

ـ ما تستني شوية اشربوا حاجة.

(هيثم)

ـ لا لا كتر خيرك متأخرين.

يقومان ويمشيان وينظر لهما مانو باستغراب.

وفي فجر اليوم التالي كانت نجوى نائمة بجوار أم هيثم وهيثم يجلس في الصالة ومعه سكين ويحاول فتح الباندا ليحصل

على الفص، يبحث كثيرًا ولكنه لا يجد شيئًا، ماذا حدث؟ لماذا لا يوجد شيء؟ والباندا مغلقة كما هي، وهذا يعني أن الباندا لا يوجد بها شيء من البداية، ثم تخرج عليه نجوى وتنظر له بصدمة.

(نجوى)

ـ إيه؟ ما لاقتش حاجة، صح؟

(هيثم)

ـ حاجة إيه؟

(نجوى)

ـ لأ أنت يا دكتور اللي تجاوب، كنت بتدور على إيه؟

(هيثم)

ـ لأ ما فيش، دا أنا بس كنت بشوف هي طلبتها منك ليه.

(نجوى)

ـ لنفس السبب اللي طلبتها منك عشانه.

(هيثم)

ـ يعني إيه؟

(نجوى)

ـ يعني أنت صغير أوي في عيني، ليه تعمل كدا؟

(هيثم)

ـ أعمل؟ أنا ما عملتش حاجة، أنا كنت خايف على نفسي.

(نجوى)

ـ حلو أوي إن الواحد يخاف على نفسه فيبيع غيره، يا راجل دا أنا حكيتلك اللي ما حكيتهوش لغيرك ووثقت فيك.

(هيثم)

ـ فين الباندا يا نجوى؟

(نجوى)

ـ في إيدك، اجري يلا روح اديهالها.

يقوم هيثم وهو متعصب ويمسك ذراعها ويشده بعنف.

(هيثم)

ـ لآخر مرة بقولك فين الباندا يا نجوى؟

(نجوى)

ـ ياه، للدرجادي مش هتقدر تفرط في التمن؟

(هيثم)

ـ مش هقدر افرط في روحي وفي روح أمي، أنا مش قدهم.

(نجوى)

ـ أنت جبان وخاين يا دكتور.

(هيثم)

ـ وما ليش فيه، وما ليش ذنب اتلط في حوار زي دا، أنتوا مجرمين وقتالين قتله زي بعض، أنا مالي؟

(نجوى)

ـ أنت اللي بتقول كدا يا هيثم؟

(هيثم)

ـ مستنية إيه مني؟

(نجوى)

ـ أنا كنت مستنية لما نتخانق اشوف غلاوتي عندك، مش معايرة باللي حكيتهولك عني.

(هيثم)

ـ نجوى قدري الموقف، أنا كمان تلت أيام لو ما سلمتهومش الحاجة هيقتلوني أنا وأمي.

(نجوى)

ـ وأنا؟

(هيثم)

ـ وأنتِ إيه؟

(نجوى)

ـ هيسيبوني ولا كمان هيقتلوني؟

(هيثم)

ـ أنا مش هسيبك، أنا مش عايز منهم حاجة غير إنهم يسيبوكِي تعيشي.

(نجوى)

ـ غلطان، أنا بيني وبين سعاد دم، وأكتر حاجة ممكن تحميني منها هي الباندا، لأن لو مت مش هتسمي عليا.

(هيثم)

ـ أنا هحميكي منهم.

(نجوى)

ـ كنت حميت نفسك يا دكتور.

(هيثم)

ـ إديهم الباندا وتعالي نختفي ونهرب.

(نجوى)

ـ غلطان، دا لو سابوك تعيش أساسًا.

(هيثم)

ـ أنا هديهم الباندا وأنتِ هتجبيها عشان أنا مش هموت، فاهمة؟ مش هموت.

ويعتدي عليها ويخنقها، ثم تخرج عليهما أمه وتخلصها من يده، وتنظر في عينيه نجوى وهي تبكي، ثم تخلع السلسة التي في رقبتها وترميها في وجهه.

(نجوى)

ـ آدي الفص، روح اجري اديهولها واقبض تمن خيانتك ليا، روح امشي مستني إيه؟

تجري تدخل الأوضة وهو ينزل ياخد الفص، وأمه تنظر له بقسوة وتدخل وراها.

وفي صباح هذا اليوم كان مازن يقف أمام فيلا "سيد حمدان" ويتصل بمايا وهي لا ترد.

(مازن)

ـ يوه، فين دي؟

ثم ترد عليه وتخرج تقف في الشباك.

(مازن)

ـ صباح الخير، كل دا نوم؟

(مايا)

ـ معلش يا مازن أنا تعبانة.

(مازن)

ـ تعبانة إيه بس؟ احنا مش متفقين اننا هنقضي عيد ميلادك سوا؟

(مايا)

ـ يا مازن بقولك تعبانة.

(مازن)

ـ ماشي ماشي يا مايا براحتك.

تقفل السكة وينظر إليها مازن نظرات استغراب ثم يتحرك بالسيارة.

ومن داخل غرفة مايا تدخل عليها سعاد وتجلس بجوارها.

(سعاد)

ـ حالك مش عاجبني.

(مايا)

ـ إيه يا مامي؟ أنتِ أول مرة تسأليني عن حالي.

(سعاد)

ـ اه أنتِ عندك اللي يخلي حالك أحسن حال.

(مايا)

ـ واهوه ما بقاش.

(سعاد)

ـ يعني إيه؟

(مايا)

ـ يعني ما تشغليش بالك.

تحدق سعاد في يدها وتبتسم وتقول:

(سعاد)

ـ حلو أوي التاتو اللي على إيدك.

تبتسم لها مايا.

(مايا)

ـ اه.

(سعاد)

ـ مايا حبيبتي خلي بالك على نفسك، أنا ما عنديش أغلى منك.

(مايا)

ـ حاضر يا ماما حاضر.

تخرج سعاد من الغرفة وتسرح مايا.

على الوجه الآخر في منزل هيثم تفتح نجوى باب المنزل لتذهب وهيثم واقف خلفها، ثم تخرج الأم وتقول:

(الأم)

ـ على فين يا نجوى؟!

(نجوى)

ـ خلاص يا ماما أنا لازم امشي.

(الأم)

ـ يا بنتي هتروحي فين؟

تنظر لهيثم بحزن وتنظر للأم مجددًا.

(نجوى)

ـ إي مكان يا ماما مش هتفرق، ما عادتش حاجة في الدنيا فارقة معايا.

(الأم)

ـ لا يا نجوى مش أنتِ اللي هتمشي.

(هيثم)

ـ يعني إيه يا ماما؟

(الأم)

ـ يعني أنت تخرس خالص وما تفتحش بوقك، أنت ليك عين؟

(هيثم)

ـ وأنا يعني كنت عملت إيه؟

(الأم)

ـ عملت اللي ما كنتش اتوقع إن ابني اللي ربيته يعمله، أنا؟ أنا ابني خاين ووقح كدا؟

(هيثم)

ـ يا ماما نجوى خطر علينا كلنا، وخطر على نفسها، هيقتلوها يا ماما هيقتلوها.

(الأم)

ـ وأنت فين؟ أنت فين يا راجل؟

(هيثم)

ـ أنا مش قدهم، ولا هي قدهم.

(نجوى)

ـ خلاص يا ماما ما لوش لازمة الكلام دا ، أنا همشي.

(الأم)

ـ لأ مش أنتِ اللي هتمشي.

الكل ينظر إلى الأم والأم يبدو عليها الغضب.

(الأم)

ـ هيثم اللي هيمشي، اطلع برا.

(هيثم)

ـ إيه؟

(الأم)

ـ زي ما سمعت، اطلع برا، مش أنت ابني؟ أنا اخاف اقعد معاك تاني، أنت خاين وغدار ومش راجل، برا، اطلع برا.

ينظر هيثم لأمه ثم يخرج مسرعًا من الشقة، ثم تجري نجوى على الأم وتترمي في حضنها وتبكي.

أحيانًا ننتظر المساعدة من أشخاص معينين، ولكن دومًا تأتينا المساعدة من أناس آخرين.

هيثم تم وضعه في موقف صعب، أصبح خائنًا وعديم الثقة وفقد ثقة جميع من حوله، فماذا يفعل؟

وفي مساء هذا يوم يجلس مانو وصولا في منزل مانو يتعاطون المخدرات، ينظر مانو لصولا ويقول:

(مانو)

ـ مش هتقوليلي بقى في دماغك إيه؟

(صولا)

ـ مش هتصدق.

(مانو)

ـ هحاول، بس قولي.

(صولا)

ـ ما فيش يا سيدي، كنت قاعدة مع بترو هو وواحد وسمعتهم بيتكلموا في حكاية هتنقلنا نقلة كبيرة.

(مانو)

ـ حكاية إيه؟

(صولا)

ـ مايا، اللي أنت شوفتها معايا آخر مرة.

(مانو)

ـ مالها؟ مش دي عضو جديد؟

(صولا)

ـ مش بس كدا، دي كنز.

(مانو)

ـ لأ مش فاهم.

(صولا)

ـ هفهمك.

(Flash back)

يجلس بترو مع رؤول في النايت كلوب مع صولا ويشربون الخمر.

(رؤول)

ـ كنت مفروض اسافر على طول بس اتعطلت.

(بترو)

ـ ليه كدا؟ الناس خلفت معاك؟

(رؤول)

ـ مش بالظبط، بس باين كدا إنهم مش هيعرفوا يتصرفوا، وأنت عارف إن لو أنا ما رجعتش بالحاجة هيعملوا فيا إيه.

(بترو)

ـ امممم، طب والحل إيه؟

(رؤول)

ـ ما فيش حل غير إني استناهم، ما فيش حل تاني.

(بترو)

ـ طب تفتكر ممكن يكونوا بيلعبوا بيك؟

(رؤول)

ـ ما فتكرش، سيد حمدان وسعاد ناس ليهم سمعتهم ومعروفين وأنا معايا اللي يوديهم في داهية.

(بترو)

ـ مين دول؟ أنا بقالي سنين هنا ما سمعتش عنهم.

(صولا)

ـ لا يا ميسيو بترو، "سيد حمدان" دا رجل أعمال ومقاول كبير في مصر عنده مشاريع كتير ومحطات إذاعية.

(رؤول)

ـ شوفت روحهم في إيدي، بس المصيبة بقى إن المشتري يجرى له حاجه ويموت.

(بترو)

ـ وهو يعني الفص دا ما فيش غيره؟

(رؤول)

ـ للأسف دا فص بيرجع عمره للأسرة التانية الفرعونية، والمادة اللي جواه نادرة جدًّا وشبه ما فيش غيرها، عشان كدا سعرها بيتخطى الـ٢٠٠ مليون دولار.

تنظر صولا لهم وتسرح.

(صولا)

ـ بالصدفة بعدها لاقيت مايا داخلة عليا وعرفت إنها بنت السيد حمدان وسعاد جاد الله.

(مانو)

ـ يا نهار مش فايت، سعاد جاد الله؟

(صولا)

ـ اه، إيه أنت تعرفها؟

(مانو)

ـ لأ عادي، بس أنتِ في دماغك إيه؟

(صولا)

ـ الفص، اجيب الفص وأنا اللي ابيعه لرؤول.

(مانو)

ـ وهو بالبساطة دي؟ دول حيتان.

(صولا)

ـ ما تخافش احنا مش هنعمل حاجة، الفص هيجيلنا لحد عندنا.

(مانو)

ـ ازاي؟

(صولا)

ـ مايا خلاص وقعت في المصيدة، والمفروض إنها الليلة هتسجد له وتقدم القربان.

(مانو)

والقربان يبقى..

(صولا)

ـ أيوه القربان هو إنها تجيب الفص.

(مانو)

ـ ولما البنت تفتن أو تفوق أو تتقفش حتى؟

(صولا)

ـ وقتها هنكون برا مصر، وما حدش عارف مكانه.

(مانو)

ـ يا بنت اللذينة.

(صولا)

ـ تربيتك يا إبليس.

يبدو أن الأمر أصبح معقدًا، أصبح الفص هو الشيء الذي يشتري به الجميع حياته، فماذا سيحدث؟ ومن سيحصل على الفص في النهاية؟

تجلس أم هيثم وتجلس نجوى أمامها وتسرح لها شعرها ونجوى حزينة.

(الأم)

ـ أنتِ عارفة إن شعرك حلو؟

(نجوى)

ـ يا ريت كان حظي حلو زي شعري.

(الأم)

ـ على فكرة أنا بحبك، من أول يوم شوفتك فيه وأنا حاسة إنك بنتي، حد قريب مني.

(نجوى)

ـ وأنا عمري ما حسيت إحساس الامومة غير معاكِ، أنا دايمًا صعبانة على الناس، كلهم بيشفقوا عليا.

(الأم)

ـ أنا مش زعلانة إني طردت هيثم، أنا عملت الصح.

(نجوى)

ـ مش خايفة عليه؟

(الأم)

ـ خايفة بس؟ دا أنا هموت من الخوف.

(نجوى)

ـ أنا حذرته بس هو ركب دماغه.

(الأم)

ـ تفتكري هنعمل إيه؟

(نجوى)

ـ ما بقتش عارفة، بس حاسة إن ربنا هيرجعه تاني.

(الأم)

ـ يا رب.

(نجوى)

ـ أنا مش عايزة ابعد عنك يا ماما.

(الأم)

ـ مش هسيبك تبعدي، أنتِ بنتي.

(نجوى)

ـ تعرفي إن ماما كانت دايمًا تقعدني وتسرح شعري وكانت بتغنيلي.

(الأم)

ـ بتغني إيه يا ترى؟

(نجوى)

ـ كان عنا طاحون ع نبع المي، وجدي كان يطحن للحي قمح وزهرية..

تحضنها الأم ونجوى تكمل غناء.

ما أجمل أن تربطنا تفاصيل بمن نحب، مزيكا، مكان، كلمة، هذه الأشياء ستكون يومًا ميراثنا الوحيد وتكون لحن الحياة.

نجوى كلما تفقد خصلة في روحها تتذكر تلك الأغنية، هذا هو الشيء الوحيد الذي ينسيها كم الدماء التي سُكبت في حياتها، ويكون الصراع دومًا بين اللحن والدم.

كان مساء هذا اليوم عصيبًا، كان يجلس هيثم على أحد مقاعد كورنيش النيل وفي يده الفص ويتحدث مع نفسه.

(هيثم)

ـ وبعدهالك يا هيثم، هتروح على فين؟ معقولة الخوف أكل منك كل شيء؟ طيب اديك اهوه قاعد حاضن الشوارع وفي إيدك كنز. إيه كنز دا؟ أنت بتفكر تاخد التمن ولا إيه؟ اه وليه لأ، أنا لو عيشت عمري ما هعرف اجمع الفلوس اللي هاخدها دي. طب ونجوى؟ أهي هي دي المشكلة، أنا عمري ما هسامح نفسي لو جرى لها حاجة، الموضوع بالنسبالي مريب. عارف لما تتمنى إنك كنت تتخلق شرير من كتر ما الطيابة أذياك؟ طب والقسم اللي أقسمته لما بقيت

دكتور يا دكتور؟ ما بقتش عارف. دا اختبار من ربنا إوعى تسقط فيه، ربك قادر يا دكتور، ربك قادر.

ماذا سيحدث؟ يبدو أن الأمر معقد، باقي فقط يومان وتُحل النهاية.

على الضفة التانية من المشهد تجلس صولا وأمامها مايا ومانو في غرفة تضيء بالشموع، وفي الأرض رسومات مخفيفة وغريبة.

(صولا)

- باسم الأمير ـ ملك الدنيا وامتعها، الباقي الذي يمنح السعادة والقوة، إله النار التي تضيء وتحرق، إنها مايا جاءت إليك لتثبت ولاءها، وعلى أتم استعداد لتقديم القربان، فامنحها يا سيدي.

تنظر مايا خائفة ثم تضيء الشموع بطريقة مخيفة.

(صولا)

- اسجدي يا مايا.

تنظر لها مايا ثم تسجد، ثم تبتسم صولا لها وتقترب وتقول:

(صولا)

- أنا عارفة إنك محتاجة الحباية، ما تقلقيش هجيبهالك، بس لازم تقدمي القربان.

(مايا)

- اللي هو إيه؟

(صولا)

- هو عايز فص عند أمك، فص أزرق، لو عرفتي تجبيه هيكون تحت إيدك الكون، بس أنتِ لازم تجيبيه.

(مايا)

- هحاول.

(صولا)

- حاولي حاولي يا حبيبتي.

يمر المساء هادئًا، ويأتي صباح اليوم التالي، مانو نائم على بطنه عارٍ ومغطى، يسمع صولا تتحدث في الخارج في الهاتف.

(صولا)

- يا ميسيو ما تقلقش، كل شيء هيمشي مسطرة، لأ كل اللي أنت خططت ليه ماشي زي المسطرة، مايا هتجيب الحاجة يعني هتجيبها.

ينصدم مانو فيما سمعه وتدخل عليه صولا، يعمل نفسه نائم وتصحيه فيفيق.

(صولا)

- صباح الخير يا عمري.

(مانو)

- صباح النور.

(صولا)

ـ مالك بتبص ليه كدا؟

(مانو)

ـ تفتكري بترو هيسيبنا في حالنا؟

(صولا)

ـ وهو ماله أساسًا؟ دي حاجة برا عنه.

(مانو)

ـ طب ما نرسيه.

(صولا)

ـ وتفتكر هيكون رد فعله إيه لما نقوله هنبطل شغل؟

(مانو)

ـ اه عندك حق، أنا هقوم عشان عندي مشوار مهم.

(صولا)

ـ مشوار إيه دا؟

(مانو)

ـ ما فيش، بييع عربيتي.

(صولا)

ـ عربيتك؟

(مانو)

ـ اه عربيتي.

ويقوم يذهب وهي تحدق فيه.

يجلس مانو في أحد كافيهات مدينة نصر يدخن سجائر كثيرة ويشرب قهوة، تدخل عليه نجوى وتجلس أمامه.

(نجوى)

ـ إيه يا مانو في إيه؟

(مانو)

ـ أنا بضيع يا نجوى بضيع.

(نجوى)

ـ في إيه بس؟

(مانو)

ـ بيتلعب عليا لعبة كبيرة من ولاد الكلب، ماشي يا صولا، وحياة أمك لاقتلك.

(نجوى)

ـ اهدا بس، حصل إيه؟

(مانو)

ـ بنت الكلب جت قالتلي هنتوب وهنرجع بعد ما نعمل عملية معينة، سمعتها النهاردا بتتكلم في الموبايل وبتبيعني لبترو.

(نجوى)

ـ يا نهار أبيض، عملية إيه؟

(مانو)

ـ ماهو دا اللي أنا جايبك علشانه.

(نجوى)

ـ أنا؟!

(مانو)

ـ أيوة أنتِ، حاجة مهمة جدًّا.

(نجوى)

ـ إيه هي؟

(مانو)

ـ سعاد مرات أبوكِ.

(نجوى)

ـ سعاد؟ وأنت مالك ومالها؟

(مانو)

ـ في خواجة صاحب بترو وصولا سمعتهم بيتكلموا عن فص أثري، وإن الخواجة دا وسيط لعميل أجنبي عشان يشتري منهم، وبالصدفة مايا بنت سعاد انضمت للجمعية وصولا طلبت منها إنها تسرق الفص عشان يكون هو القربان.

(نجوى)

ـ مانو أنت جاي تلعب عليا؟

(مانو)

ـ ألعب عليكِ ازاي؟

(نجوى)

ـ مايا بنت سعاد ماتت، أنا دبحتها بإيدي.

تتذكر نجوى قبل عشرة أيام حيث كانت.

(Flash back)

الغرفة معتمة تمامًا ومصدر الإضاءة الوحيد للمبة محروقة بتفتح وتقفل، وفي الخلفية أغنية (كان عنا طاحون ع نبع المي)، ثم يقفل النور ويفتح، تكون نجوى في سن الـ ١٦ عامًا وزوجة أبيها تقص لها شعرها، ثم يقفل النور ويفتح

وتكون نجوى في سن الثلاثين عامًا وأمامها طفلة تقص لها شعرها، ويبدو على وجهها نظرات وابتسامات شر، ثم يصدر صوت صراخ من الطفلة.

قد كانت تعتقد نجوى أن هذه الطفلة التي تم ذبحها هي مايا بنت سعاد، ولكن ماذا حدث؟ ولو كانت هذه الطفلة ليست ابنتها فمن تكون؟

(مانو)

ـ مستحيل، البنت عايشة.

(نجوى)

ـ عايشة ازاي؟

وتتذكر نجوى شيئًا من الماضي، حيث كانت تقف في مكان صحراوي وأتت سيارة وقفت أمامها وخرج منها رجل وأعطاها شوالًا بداخله بنت مخدرة وأعطته مبلغًا من المال.

وتذكرت أيضًا حين كانت تقص لها شعرها والغرفة معتمة وحين صرخت البنت وكانت قد انذبحت بسكين.

(مانو)

ـ مايا دي كبيرة، عندها ١٧ سنة.

(نجوى)

ـ أومال اللي ماتت دي مين؟

(مانو)

ـ أكيد اللي كلفتيهم يخطفوها خطفوا حد غلط.

(نجوى)

ـ يا نهار أبيض.

(مانو)

ـ أنا مش عارف اعمل إيه، بس أنا مش هسيبهم ولازم ابوظ لهم اللعبة، عشان لو كملت مش هيرحموني.

(نجوى)

ـ انت عايزها تبوظ فعلًا؟ أنا هقولك تعمل إيه.

(مانو)

ـ إيه؟

تنظر نجوى نظرات شر، يبدو أن نجوى تسترجع ما كانت عليه، ويبدو أن الحرب لم تنتهِ بعد.

وفي نفس التوقيت عند منزل نجوى كانت الشرطة تحاول كسر الباب، حيث قد اشتكى الجيران من وجود رائحة كريهة تأتي من داخل الشقة.

(الضابط)

ـ مين كان ساكن هنا؟

(أحد الجيران)

ـ دي ست اسمها نجوى، وبقالها يومين مختفية عن المكان وما بتجيش.

ثم يتم كسر الباب، بانت الرائحة شديدة جدًّا يبدو أنها رائحة جثة متعفنة.

وفي مساء هذا اليوم كانت تجلس مايا وهي في حالة غير عادية مع مانو ونجوى في منزل مانو وهي تتوسل لمانو.

(مايا)

ـ أبوس ايدك هاتلي حباية.

(مانو)

ـ أنتِ عارفة إني ما اقدرش، أنا مش قده، خصوصًا إنك ما نفذتيش القربان.

(مايا)

ـ صدقني أنا ما لاقتش اللي أنتوا عاوزينه، ملاقيتوش.

(نجوى)

ـ خلاص يا حبيبتي، أنا هديكي الحباية وهغيرلك القربان.

(مايا)

ـ بجد؟

تقترب نجوى منها وتضع الحباية في فمها، تأخذها مايا وتهدأ، ثم تقترب منها نجوى وتقول:

(نجوى)

ـ شوفتي أنا جدعة ازاي؟ عايزة تعرفي القربان؟

(مايا)

ـ أي حاجة هتطلبيها مني هعملها.

(نجوى)

ـ امسكي.

تعطيها علبة بودرا.

ـ أنا كل اللي طالباه إنك هتحطي لماما شوية من دول في العصير.

(مايا)

ـ إيه دا؟

(نجوى)

ـ ماتخافيش، دا دوا هيخلي ماما تفهمك أكتر، وبعدين ما تسأليش وإلا مش هيبقى عندي حباية تاني ليكِ.

(مايا)

ـ لا أبوس إيدك، أنا هنفذلك اللي تقوليه.

(نجوى)

ـ الليلة يا مايا، الليلة.

تنظر لها مايا وينظر مانو لنجوى.

في مساء هذا اليوم تدخل مايا إلى المطبخ مرتبكة وتكون العاملة بالداخل تحضر الطعام، تنظر لها مايا وتقول:

(مايا)

ـ سعدية روحي أنتِ جهزي السفرة وأنا هحضر عصير.

(سعدية)

ـ طب ارتاحي أنتِ يا ست مايا وأنا هعملهولك.

(مايا)

ـ لا معلش يا سعدية أنا هعمله بنفسي.

تخرج سعدية مستغربة ثم تحضر مايا العصير من الثلاجة وتسكب كوبًا وتضع السم في الكوب وتأخذه وتخرج، تسير مايا ترتجف خوفًا وتدخل إلى سعاد وتكون سعاد تبدل ملابسها وتضع الماكياج، تدخل مايا وتضع العصير على التسريحة وتقترب من أمها، ويبدو على وجه مايا التغيير.

(سعاد)

ـ مايا، مالك يا حبيبتي؟ أنتِ شكلك بقى عامل كدا ليه؟

(مايا)

ـ لا لا أنا كويسة، أنا جيت اقولك إن أنا آسفه عشان كنت بضايقك الفترة اللي فاتت، يا ريت تسامحيني.

(سعاد)

ـ يا حبيبتي أنتِ بنتي، أنا لو زعلتك فعشان أنا خايفة عليكِ مش أكتر.

(مايا)

ـ أنا روحت اشرب عصير لاقيت سعدية عاملة عصير حلو أوي جبتلك كاس.

(سعاد)

ـ يا قلبي، بس لا مش هقدر.

تصمت مايا وهي متوترة وتقول:

(مايا)

ـ إيه دا؟ أنتِ هتكسفيني؟ أنا جبته يعني على الفاضي؟

(سعاد)

ـ لا يا روحي ما تزعليش، هاتيه اشربه.

تتحرك مايا ببطء وتأتي بالعصير وتعطيه لأمها وتحدق في

فم أمها وهي تشرب العصير وهي تشعر بالخوف ونبضات قلبها تكاد أن تقف، ثم تخرج مايا من الغرفة مسرعة مما أثار دهشة سعاد.

وفي خارج الفيلا كان قد وصل هيثم ومعه الفص، يقف هيثم أمام الفيلا مرتبكًا لا يعرف هل قراره خاطئ أم صحيح، يقف مترددًا ثم يتحرك ويدخل الفيلا.

وفي مكان قريب من الفيلا تجلس نجوى ومانو مختبئين ويريان هيثم وهو داخل ويقول مانو:

(مانو)

ـ كدا الموضوع اتعقد، احنا كان لازم نلحق هيثم.

(نجوى)

ـ هو اللي اختار يا مانو، أنا حذرته.

(مانو)

ـ والحاجة اللي معاه؟

(نجوى)

ـ مش مهم، المهم إن سعاد تموت قبل ما تقتلني.

ثم يرون مايا تخرج مسرعة من باب الفيلا وتجري في الشارع مثل المجانين.

(مانو)

ـ الحقي، تفتكري قفشتها؟

(نجوى)

ـ لأ لو كانت قفشتها ما كانتش خرجتها.

(مانو)

ـ أنا قلقان.

وفي هذه اللحظة كان هيثم يجلس في غرفة المكتب منتظرًا سعاد والتوتر يسيطر عليه، ثم تدخل عليه سعاد مبتسمة وتقول:

(سعاد)

ـ أهلًا يا دكتور.

ليلة عصيبة حقًّا، مايا تجلس مع مازن في سيارته وتبكي بكاءً هستيريًّا ومازن يحاول تهدئتها.

(مايا)

ـ مش عارفة عملت كدا ازاي، مش عارفة، أكيد اللي في العصير دا سم أكيد.

(مازن)

ـ وأنتِ مين عرفك على الناس دي؟

(مايا)

ـ آدم، آدم هو اللي عرفني، أنا خايفة أوي أوي يا مازن، خايفة أموت، أنا مفعول الحباية بيخلص ومش قادرة آخد نفسي بجد.

عند منزل نجوى تقف عربات الشرطة والمحققون يستجوبون من في المكان، والمسعفون يحملون جثة الطفلة المتعفنة.

(شاهد)

ـ الست نجوى يا بيه ما حدش يعرف عنها حاجة، في حالها جدًّا، عمرها ما اتكلمت مع حد هنا خالص.

يتحدث الضابط في اللاسيلكي.

(الضابط)

ـ اعملي نشرة بصورة نجوى راشد على كل الكماين، حالًا.

يجلس هيثم وهو متبت في الفص ويبدو متوترًا وسعاد تتحرك أمامه وتدخن سيجارة.

(سعاد)

ـ يعني أنت عايز تضمن حقك، مخوني.

(هيثم)

ـ مش الفلوس بس، لأ وحياة نجوى.

(سعاد)

ـ بس دا ما كانش اتفاقنا، ولا أنت نسيت الاتفاق؟

(هيثم)

ـ لأ ما نسيتش، بس أنا مش هقدر اضحي بنجوى.

(سعاد)

ـ وأنت عايزني اديلك ملايين عشان تروح تصرفهم على نجوى؟ أنا بيني وبينها دم يا دكتور.

(هيثم)

ـ وأنا قلتلك اللي عندي.

(سعاد)

ـ أنت تقول اللي عندك لما أنا ابقى عندك، لكن دلوقتي أنت اللي عندي.

(هيثم)

ـ يعني إيه؟

(سعاد)

ـ يعني أنت ما لكش حاجة عندي.

(هيثم)

ـ نعم؟

على الضفة الثانية من المشهد يخرج آدم من منزله وينتظره مازن ومايا، ثم يقابله مازن ويصفعه على وجهه.

(آدم)

ـ أنت بتضربني ليه؟

(مازن)

ـ هو إيه اللي ليه يلا؟ دا أنا هقطع وشك، إيه اللي أنت هبته في البت دا؟

(آدم)

ـ وأنا مالي؟ هي اللي قالت عايزة اجرب.

(مازن)

ـ اه يا كافر يا بن بنت الكلب.

ويقوم بضربه مرة آخرى ضربات قوية وتصرخ مايا وتقول:

(مايا)

ـ بس بس كفاية كفاية حرام عليكوا.

وتبكي مايا وتقع على الأرض ببطء، يتحركان ناحيتها.

(مايا)

ـ أنا بموت بموت، عايزة الحباية يا آدم.

ينظر مازن لآدم بغضب ويقول:

(مازن)

ـ يلا قدامي، اركب ودينا للست دي.

هيثم كان جالسًا يرتعش من الخوف، وسعاد تتلاعب بأعصابه وتقول:

(سعاد)

ـ ما كان من الأول يا دكتور، لازم يعني اوريك العين الحمرا؟

(هيثم)

ـ مالوش لازمة الكلام دا، هاتي الفلوس.

تضحك نجوى ثم تشعر بدوخة والعالم يلتف من حولها وتحدث نفسها وتقول:

(سعاد)

ـ إيه اللي بيحصل؟ في إيه؟

يراقبها هيثم وهي يختل توازنها وتقع على الأرض وتلتقط آخر أنفاسها، ينظر هيثم بخوف شديد ثم يحاول أن يحركها ولكنها فارقن الحياة!

ثم ينظر من الشباك فيجد أنه قد وصل سيد حمدان إلى الفيلا، يزداد توتره.

وعلى الضفة الثانية من المشهد مانو ونجوى جالسان في السيارة يترقبان حركة الفيلا.

(مانو)

ـ كدا هيثم مش خارج.

(نجوى)

ـ مصيبة فعلًا، هي ممكن تكون قتلته أصلًا.

(مانو)

ـ تفتكري؟

في هذا التوقيت كان يسير السيد حمدان في الفيلا متوجهًا إلى غرفة المكتب، يفتح الغرفة ويُصدَم، يشاهد سعاد ملقاة على الأرض وشباك الغرفة مفتوحًا، يقترب من سعاد مسرعًا ويحركها.

(سيد)

ـ سعاد سعاد، فوقي، في إيه؟ سعاد.

ثم ينادي الحرس بصوت عالٍ ويقول:

(سيد)

ـ أنت يا بجم منك ليه، أنت يا بجم.

يأتون مسرعين ويقول أحدهم:

(حارس)

ـ أيوة يا سيد بيه.

(سيد)

ـ مين اللي كان عند الست سعاد؟

(حارس)

ـ الدكتور اللي اسمه هيثم.

(سيد)

ـ وراح فين؟

(حارس)

ـ لسه خارج حالًا من البوابة.

(سيد)

ـ خارج إيه؟ اطلعوا وراه ويكون عندي حالًا.

يسرع الحراس بالخروج من الغرفة ليحضروا هيثم، يركب هيثم مع نجوى ومانو السيارة ويسرعون بها.

(هيثم)

ـ أنتِ إيه اللي جابك؟

(نجوى)

ـ مش وقت الكلام دا دلوقتي.

(هيثم)

ـ سعاد ماتت يا جماعة، ماتت.

ينظر مانو لنجوى ثم يلاحظ هيثم.

(هيثم)

ـ أنتوا بتبصوا لبعض كدا ليه؟

(مانو)

ـ اهدا هتفهم بعدين.

(هيثم)

ـ أنتوا رايحين على فين؟

(مانو)

ـ مش هينفع نطلع على البيت، سيد حمدان زمانه اكتشف موت سعاد وأكيد هيجيلك على هناك.

(نجوى)

ـ لأ اطلع على البيت.

(مانو)

ـ نعم؟

(نجوى)

ـ زي ما بقولك، اطلع على البيت.

في نفس التوقيت يدخل مازن غاضبًا وفي يده مايا وخلفهم آدم على صولا، وتكون صولا نائمة على الشاذلونج تسمع مزيكا، ثم تنظر لهم ببرود أعصاب وتقول:

(صولا)

ـ أهلًا، ازيك يا مايا؟ ازيك يا آدم؟ مين دا؟ مش تعرفونا.

(مازن)

ـ أنا اللي جاي اطلع ميتين اللي جاب حضرتك.

تضحك صولا وتقوم لتقف وتنظر في عينيه وتنفخ دخان سيجارتها في وجهه.

(صولا)

ـ أنت أكيد غلطت، بس أنا مش هحاسبك.

(مازن)

ـ تحاسبيني على إيه؟ أنتِ مجرمة وكافرة.

(صولا)

حقيقي ما كنتش اعرف، اسمع يا حلو، خد اللي معاك دول واطلع برا بدل ما ادفنك هنا.

تصرخ مايا وتقع على الأرض وتقول:

(مايا)

ـ مش قادرة عايزة الحباية، مش قادرة يا مازن.

يمسك مازن صولا من ذراعها ويقول:

(مازن)

ـ اديها حباية.

(صولا)

ـ نزل إيدك، حباية إيه يا شاطر؟ أنا ما عنديش حبايات.

يطلع مازن مسدس من جيبه ويصوبه ناحية رأسها ويقول وهو غاضب:

(مازن)

ـ عليا الحرام من ديني لو ما طلعتي حباية لأكون مفرغه في نفوخك، اديها حباية.

تطلع صولا حباية وترميها على الأرض، وتزحف مايا على الأرض لتصل للحباية، ثم تأخذها ويغمى عليها.

يقترب منها مازن خوفًا ويحركها ويقول:

(مازن)

ـ مايا اصحي، مايا بلاش يا مايا فوقي، والله العظيم ما هسيب حقك، ماااااااايا.

ثم تخبطه صولا بآلة حادة على رأسه وتخرج من الغرفة وينزل آدم يفوق مايا ويلاحقها مازن.

إنها ليلة قد تكون عصيبة على الجميع، كانت نجوى جالسة مع هيثم ومانو والأم في السيارة، وقد وصلت سيارة الحراس التابعة لسيد حمدان ونزلوا منها وصعدوا إلى أعلى وهم يحملون أسلحة

نارية، وبعد دقيقة قد وصلت سيارة أخرى نزل منها سيد حمدان حاملًا سلاحًا ناريًّا وصعد وراء الحراس، تنظر نجوى لمانو وتقول:

(نجوى)

ـ لو ما لحقتش اهرب على طول.

(هيثم)

ـ أنا مش هسيبك تنزلي.

تنظر نجوى له بدون تعبير وتنزل من السيارة وهي حاملة سكينًا، وتنزل أسفل السيارة وتقطع سلك الفرامل، ثم تخرج وتتوجه للسيارة الأخرى وتقطع سلك الفرامل، وتصعد مسرعة من أسفل السيارة وتركب سيارة مانو ويذهبون مسرعين.

(مانو)

ـ عاش يا نجوى.

(هيثم)

ـ أنتِ عملتي إيه؟

(نجوى)

ـ شوية وهتعرف.

(الأم)

ـ أنا مش مصدقة كل اللي بيحصل دا.

(نجوى)

ـ ما تخافيش يا ماما كله هيبقى تمام.

ينظر هيثم نظرات حزن لنجوى ومانو ويكمل السير.

وعلى الضفة الثانية قد لحق مازن بصولا وقام بشدها وهو يقول:

(مازن)

ـ عايزة تهربي؟ دا يبقى آخر يوم في عمري.

(صولا)

ـ هتستفاد إيه؟ أنا ممكن بإشارة مني اخلي كل الغول دول يقطعوك حتت.

(مازن)

ـ مش هتلحقي.

(صولا)

ـ سيبني امشي أحسنلك.

(مازن)

ـ دا بعيد عن شنبك.

ثم تخرج شفرة وتحركها ناحية يده وتؤلمه ويقع على الأرض من شدة الألم، وتحاول الفرار ولكن تقابلها الشرطة وتقبض عليها وعلى كل من في المكان.

وفي إحدى استراحات الطريق الدولي تقف السيارة ويتناولون المشروبات، ثم تجلس نجوى على كرسي القيادة وتفتح الراديو لتسمع المذيع يقول:

(المذيع)

- وفي حادث مروع بجنوب الجيزة حيث انقلبت سيارتان على الطريق الرئيسي، وأسفر هذا الحادث عن مصرع ٥ أفراد من ضمنهم المقاول وصاحب قناة فضائية شهيرة الأستاذ "سيد حمدان"، حيث توجهت الشرطة والنيابة العامة لمعاينة مكان الحادث.

تقفل نجوى الراديو ثم يأتي هيثم ويجلس بجوارها وينظر لها بحزن ويقول:

(هيثم)

- أنا عارف إني غلطان وإني جبان وإني ما استاهلش وإني مش جدع، بس أنا راجل يا نجوى.

تنظر له باستهزاء وتصمت.

(هيثم)

- أنا عارف إني نزلت من نظرك، بس والله قبل ما يحصل اللي حصل أنا قلتلها خدي الفص وسبيلي نجوى.

(نجوى)

- هششششش.

ثم تحرك الكاست وتشغل أغنية "كان عنا طاحون ع نبع المي".

(هيثم)

ـ للدرجادي ما بقيتش عايزة تسمعي مني كلام؟

(نجوى)

ـ أنت عارف أنت عملت إيه بقرارك دا؟ أنت نكستني يا دكتور، عارف لما المريض بينتكس بيجرى له إيه؟

ينظر لها بحزن هيثم.

(نجوى)

ـ بيموت يا دكتور، ليه عملت كدا بس ليه؟ أنا كنت ما صدقت لاقيت الأمان ولاقيت أم، بعد ما عشت عمري بحاله بدور على أم.

(هيثم)

ـ سامحيني.

(نجوى)

ـ يا ريت تكون بالبساطة دي، تعرف النهاردا بس قتلت كام روح؟ تعرف إني من خمس ست ساعات كنت واقفة بين إيدين ربنا بطلب منه الغفران، ودلوقتي زودت الدم بدل ما اشيله من على كتافي؟

أنا كنت قلت خلاص هبدأ استمتع بحلاوة الدنيا، هسمع لأول مرة لحن أغنية فيروز وأنا نضيفة زي زمان، لكن طلع إن لازم اعيش حياتي في دم دم دم.

(هيثم)

ـ لسه في فرصة كمان نبتدي من جديد، هاتي إيدك.

يمد يده وتنظر نجوى له بحزن.

(نجوى)

ـ ايدي كلها دم يا دكتور، كلها دم ما تنفعكش.

(هيثم)

ـ نجوى أنا..

يقطع حديثه مانو ويقول:

(مانو)

ـ قبضوا على صولا وباقي أعضاء الجمعية، أنا روحت في داهية.

عربات الشرطة تقف أمام النايت كلوب، وتجلس مايا متعبة وبجوارها مازن ويغسل وجهه ويحتضنها ويقول:

(مازن)

ـ كدا كنتِ عايزة تضيعي مني؟

(مايا)

ـ أنا آسفه يا مازن، أنا غبية.

(مازن)

ـ لا مش غبية، أنتِ هبلة، هبلة وأنا لازم اعقلك ومش لازم اسيبك تاني.

(مايا)

ـ أنت أول حد جريت عليه أول ما حصل اللي حصل، هي مامي فين؟ هي كويسة؟

يصمت مازن وينظر لها.

(مايا)

ـ مازن مامي كويسة مش كدا؟

ينظر لها بحزن، لا يعرف ماذا يقول.

(مايا)

ـ ما ترد يا مازن، مامي فين؟ طب بابي؟

(مازن)

ـ مامي اتوفت بسبب السم، وبابي والحراس اتقلبوا بالعربية من شوية.

(مايا)

ـ إيه دا يعني إيه؟ يعني إيه؟

(مازن)

ـ اهدي، ربنا يرحمهم.

(مايا)

ـ بس ربنا مش هيرحمني، مش هيرحمني.

وتبكي مايا بشدة.

(مازن)

ـ ربنا غفور رحيم ما تقوليش كدا.

(مايا)

ـ أنا عايزة امشي، مشيني من هنا يا مازن.

يدخل عليهما الضابط ويقول:

(الضابط)

ـ أنا بشكرك جدًّا يا مازن، أنت خلتنا نقبض على أكبر جمعية ماسونية في مصر، أنت بس هتتفضل معايا أنت والآنسة عشان ناخد أقوالكم عشان تروح.

(مازن)

ـ حاضر يا فندم.

ينظر مازن لمايا ثم يحتضنها وهي تبكي.

على الوجه الآخر يقف مانو متوترًا هو وهيثم ونجوى والأم نائمة في السيارة.

(مانو)

ـ صولا أكيد هتبلغ عني، أنا هروح في داهية.

(هيثم)

ـ والحل إيه دلوقتي؟ نهرب؟

(نجوى)

ـ نهرب ازاي؟ أي كمين هيقابلنا هياخده.

(مانو)

ـ والعمل؟ أنا مش هتحبس يا نجوى.

(نجوى)

ـ ليها حل، ليها حل.

ثم يأتي هاتف لمانو، الكل ينظر له ومانو يرد.

(مانو)

ـ آلو.

(رؤول)

ـ مانو، خد في حد عايز يكلمك.

(بترو)

ـ ايوة يا مانو معاك مسيو بترو.

(مانو)

ـ أيوة يا مسيو، عرفت اللي حصل؟

(بترو)

ـ ايوة ايوة، وأنا كلها ساعة وهكون مسافر برا ومش هسيبك، هاخدك معايا، بس عايز منك خدمة.

(مانو)

ـ خدمة إيه؟

(بترو)

ـ الأمانة اللي مع الدكتور اللي معاك، ما تتكلمش، أنا عارف إنكم مع بعض دلوقتي، وعارف اللي نجوى عملته، بس كل دا مش مهم، المهم إن الفص ييجي وتاخدوا التمن، قدامك ربع ساعة تكلمني واقولك هنتقابل فين عشان نلحق المينا قبل ما المركب تطلع.

يقفل السكة في وجهه وينظر مانو لهيثم ونجوى.

(هيثم)

ـ إيه؟

(مانو)

ـ عايزين الفص وهيهربوني معاهم، دي فرصتي الأخيرة، نجوى اقفي جمبي.

(نجوى)

ـ أنت ضامنهم أوي كدا؟ إيه يضمنلك بعد ما ياخد الفص ما يقتلكش؟

(مانو)

ـ دي آخر قشاية ممكن اتعلق فيها، ما عنديش بديل.

(هيثم)

ـ طب ما نحاول نشوف حل تاني.

(نجوى)

ـ أنت عايز تديهم الفص؟

(مانو)

ـ ما عنديش اختيارات.

(نجوى)

ـ هيثم اديله الفص.

(هيثم)

ـ نعم؟

(نجوى)

ـ اديله الفص يا هيثم.

يعطي هيثم الفص لمانو وتنظر نجوى لمانو باستغراب وهو يكلم بترو هاتفيًّا.

(مانو)

ـ ايوه يا ميسيو الفص معايا، اجيلك فين؟

وفي مديرية أمن القاهرة كانت تجلس صولا وحولها أعضاء الجمعية وهي تدخن سيجارة وبجوارها مايا ومازن وآدم تحدق فيهم بسخرية.

(صولا)

ـ أنت فكرك إن هي كدا خلصت؟ آخرك دا يعني؟

(مازن)

ـ أنتِ ما عدتيش خارجة من هنا.

تضحك بسخرية بصوت مرتفع وتنظر له وتقول:

(صولا)

ـ ادعي بس أنت اللي تخرج من هنا، العيال اللي أنت شايفها دي أقل واحد فيهم أبوه لوا.

(مازن)

ـ إيه؟

(صولا)

ـ ما تفكرش كتير، هنتقابل هنتقابل.

يركب مانو السيارة ويذهب بها لملاقاة بيترو ورؤول ويقف هيثم ونجوى والأم جالسة تقرأ القرآن داخل الكافتريا، ينظر هيثم لنجوى ويقول:

(هيثم)

ـ مستغربك، ازاي سيبتيله الفص بالسهولة دي؟

(نجوى)

ـ دا اللي شاغل بالك؟

(هيثم)

ـ مصرة برضه تشوفيني بالقذارة دي؟ يا ستي والله ما كان فارق معايا غيرك.

(نجوى)

ـ تفتكر ممكن اطمنلك تاني ازاي يا هيثم؟

(هيثم)

ـ هتطمنيلي لما تعرفي إن عيبي الوحيد إني جبان بخاف وبمشي جمب الحيط، أنا ما كنتش قد إني اتحط في موقف زي دا، بس والله عمري ما كنت قوي قد وأنا بقول لسعاد إني مش هسيبها تقتلك.

(نجوى)

ـ كنت خايف عليا ولا كنت خايف من وجع الضمير؟

(هيثم)

ـ لا كنت خايف يعدي يوم وأنا ما اعرفش عنك حاجة، كنت خايف افقد نعمة إن حد شايفني عظيم والكل شايفني فاشل، كنت خايف ما الاقيكيش في واحدة تانية.

تدمع نجوى وتنظر له بحب.

(نجوى)

ـ أنا كان عندي استعداد أموت ولا إنك يجرالك حاجة، لأنك أنت الوحيد اللي لما كنت اقولك إني مجرمة كنت تقولي لأ أنتِ عيانة وهتخفي.

(هيثم)

ـ سامحيني يا نجوى.

ويبوس إيدها ويحضنها وهي تبكي في حضنه، وتنظر إليهم الأم من زجاج الكافتريا وتبتسم.

وفي ذلك الوقت كان مانو قد وصل إلى مكان على الطريق الدولي ثم جاءت سيارة ينزل منها بترو ورؤل.

(بترو)

ـ برافو يا مانو، أنا مش عايزك تقلق، احنا بعيد وما نعرفش حاجة.

(مانو)

ـ بجد يا ميسيو؟ يعني أنا مش هتسجن؟

(بترو)

ـ حبيبي احنا كلها ساعات ونبقى في إيطاليا، يلا هات الفص.

يعطي مانو الفص إلى بترو وبترو يعطيه إلى رؤول ثم يفحصه ويشاور له بأنه تمام.

(بترو)

ـ يلا مانو حبيبي تعالى ورانا بالعربية.

(مانو)

ـ حاضر حاضر.

ثم يلتفت مانو ليركب السيارة، يقوم بترو بإطلاق الرصاص عليه من ظهره ويقع ويلتقط آخر أنفاسه، ويسيرون هم بالسيارة هاربين.

نهاية عادلة قد حلت على الجميع، مانو ودع الدنيا وهو في أمس الحاجة أن يعيش، ولكن قد جاءت له ملايين الفرص ليرجع ولكنه فضل البقاء في هذا المستنقع، أي حياة تكون في هذه المنطقة؟ مات مانو، ومات كافرًا.

في سيارة أوبر يركب هيثم والأم ونجوى ويصلون إلى منزل هيثم، ينزلون منهكين ويصعدون إلى المنزل، يدخل كل منهم غرفته.

ثم يطرق الباب بطريقة غريبة، يفتح هيثم ويجد الشرطة.

(الضابط)

ـ دكتور هيثم؟

(هيثم)

ـ أيوة.

(الضابط)

ـ معانا أمر بتفتيش بيتك، بندور على نجوى رشدي المريضة اللي أنت بتعالجها.

(هيثم)

ـ وإيه هيجيبها هنا؟

(الضابط)

ـ أرجوك يا دكتور وفر على نفسك، احنا مراقبين البيت وعارفين إنها لسه طالعة معاك، عن إذنك.

تدخل الشرطة وتأتي بنجوى ويجرونها وهي تصرخ وتقول: (نجوى)

ـ هيثم ما تسبنيش، ما تسبنيش يا هيثم.

وهيثم يدمع والأم تلطم على وجهها، وتأخذها الشرطة وتذهب، ويتتبعها هيثم بنظرات حزن وأسى.

ماذا تفعل بنا الحياة بعد كل لحظة راحة تتبعها مشكلات أخرى، ما الأمر في ذلك؟ وهل تختفي الأزمات هذه يومًا؟ أم مع كل شمس جديدة تأتي أزمات أخرى؟

لا بد ألا نعلق أخطاءنا على شماعة المرض مادام يوجد الدواء، الكوارث الطبيعية تبيد الأوطان، والكوارث النفسية تبيد الأشخاص.

هل توجد نجوى حولنا في العمل؟ في الجامعة؟ في المواصلات؟ في المقاهي؟ في البيوت؟

بالتأكيد توجد نجوى حولنا، كم من مجرم يعيش في الخفاء! ولكن المجرمين الحقيقيين من يدمرون الأنفس لشهوات ومصالح شخصية.

نحن ننتزع منا الرحمة بكامل إرادتنا، نحن لسنا أبرياء.

على أعتاب النهاية وبعد توجيه تهمة القتل العمد إلى نجوى في قضية قتل الطفلة، حكمت المحكمة حضوريًا على نجوى بإحالتها إلى مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية بعد إثبات أنها تعاني مرضًا نفسيًا يجعلها تقتل وهي ليست في كامل قواها العقلية.

وهنا الحياة أعطت لها فرصة جديدة للعيش مجددًا، أما صولا قبل عرضها على النيابة جلست مع أحد اللواءات ووالد أحد أفراد الجمعية.

(لواء)

ـ أنتِ اتجننتِ؟ أنتِ بتهددي مين؟ أنتِ مش خارجة من هنا أساسًا، أنا ادوس عليكِ برجلي.

(صولا)

ـ أنا مش هروح فيها لوحدي، وعمومًا في نيابة وابقى شوف هتطلع ابنك منها ازاي.

ولكن ثبات صولا على مبدئها وضعها في موقف حرج للغاية، وفي الزنزانة قام أحد المجرمين بقتلها، وهذا الثمن الذي دفعته أهالي أفراد الجمعية، شخصيات مرموقة ومشاهير، فكان الحل الوحيد أن تُقتل ليموت السر معها.

نموت نحن ونحيا مرات ومرات في هذا الكون الذي تسكنه شياطين وتسكنه أناس أبالسه.

نحن من نختار أن نعيش حياتنا في لحن، ونحن من نختار أن نعيشها في دماء.

ولكن نحن نعلم أن الحياة اختبارًا، ونحن لسنا إلا أسبابًا، هيثم يعيد الثقة مجددًا إلى نجوى ويشعرها بقيمتها وقيمة الحياة من جديد، حياة هادئة لا يملؤها الخوف ولا العقاب.

وبعد ثلاث سنوات في مستشفى الأمراض النفسية من توبة وصلاة وعفة، اليوم يزورها هيثم هو وأمه في المستشفى.

يجلسان في جنينة المشفى.

(هيثم)

ـ حمد الله على سلامتك، النهاردا اقدر اقولك إنك بقيتِ إنسان جديد.

(نجوى)

ـ يا هيثم أنا فعلًا حاسة إني أول مرة اتنفس واشم هوا، ربنا دا عظيم جدًّا.

(الأم)

ـ يلا بقى، أنتِ كلها أسبوع وهتخرجي من المستشفى وأنا محضرالك الملوخية اللي بتحبيها.

(نجوى)

ـ يا ماما ما تتعبيش نفسك.

(هيثم)

ـ صح يا ماما، احنا هنخرج من هنا على عم حسين كلاوي نضرب ساندوتشين سجق إنما إيه.

(نجوى)

ـ لا لا ابوس إيدك يا ماما ما تتعبيش نفسك.

يضحكون ثم تقول الأم:

(الأم)

ـ هقوم ادخل الحمام عشان السكر مبهدلني.

(هيثم)

ـ ماشي على مهلك بس.

تقوم الأم وينظر هيثم إلى نجوى.

(هيثم)

ـ تلت سنين وأنا بجهزلك بيتك، لسه امبارح جايب الأنتريه، إنما إيه، من الغالي.

(نجوى)

ـ تاعب نفسك ليه؟ أنا كدا كدا كنت هخرج واتصرف.

(هيثم)

ـ نجوى أنا مش هقدر استنى أكتر من كدا، أنا بحبك.

(نجوى)

ـ إيه؟ بتحبني؟

(هيثم)

ـ إيه هنستعبط؟ قال يعني ما كانش باين عليا.

تتكسف نجوى وتنظر له وهي مبتسمة.

(نجوى)

ـ وتفتكر أنت هتعوضني؟

(هيثم)

ـ يا باشا أنا هقلبلك قرد لو عايزة.

(نجوى)

ـ لا قرد إيه؟ أنت حلو كدا.

(هيثم)

ـ على فكرة في حد قالك بحبك من شوية في إيه؟

(نجوى)

ـ أنا بعشقك، مش بس بحبك يا غبي.

نهاية سعيدة حقًّا، ولكن نجوى متعافية من مرض شديد، أتعلم ما أخطر وقت يمر على المريض؟

أخطر وقت يمر على المريض هو الوقت الذي يتعافى فيه، فإنه معرض في أي وقت للانتكاسة، وهذا يضع هيثم في مسؤولية كبيرة.

ما أجمل أن يتقبلك أحدهم بعيوبك وبمرضك وبكل شيء فيك، ولا يخاف منك ولا يشعرك بأنك ضعيف في وقت ما.

الحب هو الشيء الوحيد القادر على إسعادك وانتشالك، كل المجرمين كان ينقصهم الحب والوفاء، ماذا لو أعطينا المجرم الحب من البداية؟ أعتقد أنه سيقل عدد الجرائم.

أعتقد أن العالم سيغفر الخطايا لو كان الحب الذي بداخلنا صادقًا، كل شيء مر عليهم على ما يرام.

وبعد شهر واحد تزوج هيثم نجوى وسط محفل كبير على أنغام فيروز وهي تغني سهر الليالي والجميع سعداء، لحن الحياة بدأ من جديد.

وأصبحت فيروز خلفية كل شيء جميل وليست خلفية لسفك الدماء، الله يقبل التوبة إذا أراد العبد التوبة، من كان يصدق أن شخصًا يسفك الدماء في هذا المكان الآن؟

أحِب من تريد وافعل لأجله كل شيء، وانتظر من الله أن يضع مثل حبك في قلبه ويغنيكم بمشاعر طيبة، مر الزفاف عليهما جميلًا وسط الأقارب والأصدقاء، وعندما وصلا إلى غرفة نومهما حدث شيء غير متوقع.

كانت نجوى جالسة وهيثم يبدل ملابسه..

(نجوى)

ـ هيثم، أنا في حاجة عايزة اعترفلك بيها.

ينظر هيثم باستغراب ويقترب منها ويجلس بجوارها ويقول:

(هيثم)

ـ حاجة إيه؟

تفتح نجوى يديها وتقربها منه فيجد أن بداخلها الفص، يمسكه منها وهو مصدوم.

(هيثم)

ـ إيه دا، ازاي أصلًا؟

(نجوى)

ـ الفص اللي كان معاك دا فشنك، مش حقيقي، لكن دا الأصلي.

(هيثم)

ـ ازاي؟

(نجوى)

ـ أنا حكيتلك إن لما روحت اجيب الباندا من المخزن القديم كان في اتنين أخدتهم، وبعد اللي حصل زمان فتحت واحدة منهم لاقيت واحدة فيها الفص، أخدتها معايا وعشان كنت عارفة إنهم مش هيسيبوني عملت واحدة شبهها، والسائل الأزرق اللي جوا الفص اللي كان معاك دا صابون مواعين، أما الباندا التانية فهي فضلت عند مانو، باندا فاضية ما فيهاش حاجة.

(هيثم)

ـ نعم؟ صابون سايل؟

(نجوى)

ـ أيوه والله، بس دا معمول مخصوص مالوش ريحة.

(هيثم)

ـ يا بنت الإيه!

يضحك هيثم بصدمة.

(نجوى)

ـ الليلة معانا ٢٠٠ مليون دولار نبدأ بيهم من جديد.

(هيثم)

ـ ٢٠٠ مليون إيه؟ كل دي ناس ماتت عشان سنتي صابون سايل؟

يضحكان.

(هيثم)

ـ مش مهم، أنا مش عايز حاجة من الدنيا إلا وجودك أنتِ، ينعل أبو الفلوس اللي ممكن تعرضك للخطر.

تترمي في حضنه وتبتسم وتقول:

(نجوى)

ـ بحبك والله العظيم بحبك.

عندما نعرف قيمة الحب ومن نحب يصبح أغلى شيء في أعيننا هو الشخص الذي نحبه، تصبح الأموال لا قيمة لها.

أصبح الأمر جميلًا بينهم، كان هيثم رجلًا معهم، وكان جديرًا بالثقة، وعاشوا حياة هادئة، ومر على زواجهما عام وقد حان وقت وضع نجوى لأول أطفالها، وفي طرقة المستشفى ونجوى نائمة على السرير المتحرك متوجهة للعمليات..

(نجوى)

ـ هيثم، ما تسبنيش، تعالى خش معايا.

(الدكتور)

ـ يامدام اهدي عشان الطلق ما يحماش.

(نجوى)

ـ اااااااه.

وتضع نجوى مولودتها الأولى التي أسميتها "رحمة" لتكون رحمة لمن حولها وتكون حنونة القلب والصفات، كان هيثم يقف خلف زجاج الحضَّانة لأن رحمة أصيبت مثل والدها منذ ولادته بالصفراء.

كان يقف هيثم هو وأمه يتتبعان حركاتها مبتسمين.

(الأم)

ـ اهو جاتلك اللي هتخليك ما تنامش الليل وتجرب بقى سهري في وقت امتحاناتك وصحياني بدري عشان اوصلك المدرسة، وهتسمع منها يا بابا، مش مستاهلة يا بابا.

يبتسم هيثم ويقول:

(هيثم)

ـ دي شماته بقى، بس هي تقوم بالسلامة.

ثم يسمع صوت طفل مريض يتألم في آخر الطرقة وتعدي ممرضة بجواره فيسألها:

(هيثم)

ـ ماله دا؟

(الممرضة)

دا بعيد عنك مريض كانسر، وشكله خلاص بيودع.

يتذكر هيثم شيئًا من الماضي لما كان جالسًا مع سعاد أول مرة.

(Flash back)

(هيثم)

ـ وإيه اللي يخليكِ تدفعي الملايين دي في حتة فص؟

(سعاد)

ـ الفص يرجع تاريخه للأسرة الثانية الفرعونية، الفص دا في جواه مادة، المادة دي بتشفي الأمراض الخبيثه زي (hiv ـ cansr).

ثم يتحرك هيثم تجاهه وينظر بجواره يلاقي سرنجة، ينظر له بحزن ثم يبتسم ويطلع من جيبه الفص ويملأ به السرنجة ويعطي الحقنة للطفل، ويبتسم له ويقول:

(هيثم)

ـ ما تخافش مش هتموت، اخرج من هنا وحب كل الناس.

ينظر له الطفل ويبتسم، ثم ينظر فيلاقي الدكتور خارجًا من الحضَّانة يجري عليه ويقول له:

(هيثم)

ـ طمني يا دكتور.

(الدكتور)

ـ إيه بينك وبين ربنا يا دكتور؟ الطفلة كان مقرر إن يتم شفاؤها في مدة ما تقلش عن ستة شهور، سبحان الله بقت زي الفل!

(هيثم)

ـ الحمد لله.

(الدكتور)

ـ عدي بس على الحسابات عشان خلاص هكتبلك إذن خروج النهاردا.

كم هو جميل أن نصنع معروفًا مع شخص غريب ويرد الله المعروف أضعاف أضعاف.

إنه وحده يصنع المعجزات وهو على كل شيء قدير.

ومع الأسف كان حساب المستشفى كبيرًا ولا يملك هيثم المال، ذهب لاقتراض أي مبلغ من أحد معارفه ولكنه فشل، ولكنه وجد الفص هو كل ما يملكه، فذهب إلى أحد تجار الفضة.

(هيثم)

ـ لو سمحت ممكن اعرف دا يساوي حاجة؟

ينظر البائع إلى الفص ويقول:

(البائع)

ـ أنت جبت دا منين؟ دا نادر جدًّا، دا من فصيلة الأحجار الكريمة النادرة جدًّا، أنا هشترية منك ب ٥٠ ألف جنيه.

يصدم هيثم وينظر له ويقول:

(هيثم)

ـ نعم؟

(البائع)

ـ خلاص ٧٠ ألف كويس؟

(هيثم)

ـ أصل مش..

(البائع)

ـ ٨٠ ألف ووالله ما أنت مكمل، ثواني احضرلك المبلغ، استريح.

يا له من فضل عظيم، قد رزقه الله أضعاف مضاعفة، خرجت نجوى من المستشفى وعاشا معًا حياة كريمة بمصاحبة ابنتهما "رحمة".

وقد تم افتتاح عيادة الدكتور هيثم خليل للعلاج النفسي، واستمرت السعادة بينهما والنجاحات.

ويومًا بعد يوم يزداد حبهما وتعلقهما بعضهما بالبعض، وفي عيد ميلاد رحمة الأول الذي قرر هيثم ونجوى الاحتفال به في إحد الكافيهات بمدينة نصر..

كان هيثم ونجوى والأم جالسون وأمامهم طاولة عليها الجاتوه والعصائر ويغنون أغاني عيد الميلاد، وينفخون شموع السنة الأولى.

وبعدها تذهب نجوى لدخول دورة المياه ولكنها ترى شيئًا صادمًا، مايا جالسة مع أحد الأفراد وتتحدث وتسمعها تقول:

(مايا)

ـ أنت طيب أوي يا حسام ودا مش كويس عشانك.

تذهب نجوى مسرعة إلي طاولتها وتحتفل بأغاني عيد الميلاد وهي سرحانة.

يبدو أننا لأجل أن نشفى نُمرض غيرنا أحيانًا، وكأن المرض لا بد أن يسكن أحدنا ويترك الآخر.

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution